الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

رئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
تصدرها
الثقافة والإرشاد القومي

تليفون ٥٣٩٤٠
٤٢٧٩٤

في هذا العدد

الاشتراكات :
١٥٠ قرشا سنويا
يضاف أجر بريد من
خارج ج . ع . م .

الإدارة :
٢٧ ش عبد الخالق ثروت
بريد : محمد فريد ـ القاهرة .

العدد ١١٠١ ـ الخميس ١٧ شوال ١٣٨٤ هـ
١٨ فبراير ١٩٦٥ م السنة الثانية والعشرون

.. نار حامية !!

بقلم : محمود محمد شاكر

ـ ١٣ ـ

حين شرعت أكتب المقالة السالفة ، كنت بين أمرين : اما ان أكتب عن العبث الذى يتولى الاشراف على نشره فى صحيفة الأهرام مستشارها الثقافى لويس عوض ، واما ان أكتب عن كتاب وقع لى ، رأيته يسلك نفس المسلك الذى اتخذه لويس عوض فيما كتبه عن شيخ المعرة ورسالة الغفران • فآثرت الأول ، لأنه متصل كل الاتصال بوسائل «التبشير» واهدافه ،ومتصل ايضاً بالذى نحن فيه من أمر هذه الفئة التى تتحرك تحت ظلال المستشار الثقافى وبمشورته واختياره • وكان الموضوع الذى سلف عن نبى الله يعقوب عليه السلام ، وكيف سولت لكاتب مسلم نفسه أن يجعل هذا النبى الكريم بن الكريم بن الكريم ، يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام ، كاهنا من الكهنة ، وحالما من الحالمين، يرى رؤيا كما يرى الناس الرؤى ، ولكنه « يعدها وحيا من السماء » ، كما قال هذا الكاتب، ثم لا يزيد فيما كتب على أن خلط فى سيرة يعقوب عليه السلام وأتى فيها بما يناقض نص القرآن مناقضة ظاهرة ، فضلا عن سلبه صفة النبوة ، كما نعرفها نحن ، عن نبى من الرسل الكرام صلوات الله عليهم •

فالآن أقضى أربى من الكتاب الذى وقع لى ، لأن الأمر فيه يتعلق بنبى آخر من أنبياء الله ، وهو **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم** • نعم ، ليس للويس عوض ذنب فى هذا الكتاب ، فأنا لا أحب الافتيات على الناس ، ولكن الذى أدهشنى أن الأسلوبين ، أسلوب كاتبه ، وأسلوب لويس عوض، **واحد فى أصوله وفى تصاريفه • ولولا أن هذا** الكاتب يتحلى بالرزانة ، ويحاول أن يراه الرائى متئدا خفى الخطو ، بلا عجلة ولا تهور ، لظننت أن هناك عجيبة وقعت ، فغيرت اسم « الدكتور لويس عوض » الى « الدكتور زاهر رياض » !!

وانى لمحدثك بالخبر ، دون مقدمات ، فان كان فى الكلام فضل ، اثبت ما كان حقه أن يكون مقدمة فى آخر الكلام ، وان كان الاستغناء عن المقدمات والمؤخرات فى هذا الأمر أولى وأجمل • وعنوان هذا الكتاب : **« الاسلام فى اثيوبيا ، فى العصور الوسطى ، مع الاهتمام بوجه خاص بعلاقة المسلمين بالمسيحيين »** • وهو عنوان حسن ، فى موضوع حسن • ويبدأ الباب الأول بدءا كريما ، فيقول مانصه :

« جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة ، فوجد فيها العرب هدما لما ألفوه من معتقدات ، وخروجا عما اعتادوا أن يعبدوه • ولكن هذا لايقاس بما وجده أغنياء قريش من تقويض لسلطانهم ، ومنصرف عن لذاتهم التى اعتادوها ، فناصبوه العداء وأجمعوا على محاربته والقضاء على دعوته » •

وأدع ما فى هذا الكلام من تظاهر المرء بما لا يعتقده حقا ويقينا ، وهو أمر غير محمود ، وان كنت أرجو أن لا يكون عليه بأس من ذلك ان شاء الله ، وعسى ولعل • ولكن بقية الكلام ، كلام فيه تظاهر من نوع آخر ، وهو التفلسف فى علل التاريخ • وذلك أنه زعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما جهر بالدعوة ، أنكرت العرب ذلك ، لخلافه لما اعتقدوه وما عبدوه ، ثم استثنى منهم أغنياء قريش ، وعلل عداوتهم له بأنهم خافوا أن يقوض سلطانهم ، ويحول بينهم وبين لذاتهم التى اعتادوها ! وهذا عجب •

لأن الأمر اما أن يكون مأخوذا من السـير الموثوق برواياتها ، أو يكون منزوعا من التوهم والتخرص . والسير باجماعها لاتقول شيئا من هذا ، ولا تدل عليه . لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث ، ظل يدعو مستخفيا ثلاثسنين أو أربع ، الى أن أمره الله باظهار الدعوة بقوله : « وانذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين . فان عصوك فقل انى برىء مما تعملون » فاسلم فى فترة اخفاء الدعوة عدد قليل جدا ، جلهم من قريش ، فلما أعلن الدعوة ودعا قريشا ! وهم عشيرتهالاقربون ، ترددت قريش فى أمرها ، وراعهم ما يدعوهم اليه ، ولكنهم لم ينكروا عليه شيئا من ذلك ، حتى عاب آلهتهم ، وسفه أحلامهم ، وذم ما كان عليه آباؤهم وأخبرهم أن آباءهم فى النار . فعند ذلكأبغضته قريش غضبا وحمية، فعادوه ، وأخذوا من آمن به بالأذى والعقوبة والنكال . وظل الأمر على ذلك ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو قومه قريشا الى الايمان بالله ، وينذرهم بالنـار ان كذبوه . ويبشرهم بالجنة ان أطاعوه واتبعوه . فهذا هو ظاهر ما فى السير جميعا ، وهو الذى يدل عليه تنزيل القرآن منجما على أحيانه التى نزل فيها . فان جله فى الدعاء الى توحيد الله سبحانه ، ونبذ الأوثان ، وخلع الأنداد التى اتخذوها لله شركاء ، والاحتجاج عليهم فى ذلك كله بالحجج البينـات ، وما يتخلل ذلك من الدعـوة الى مكارم الأخلاق ، من بذل المال ، واكرام اليتيم ، واتقـاء الفواحش ، وحفظ الفروج ، وسائر المكارم التى دعا الله اليها عباده ، والتى كانت العرب تتخلق ، أو تحب أن تتخلق بها فى جاهليتها ، من ارث أبيها اسـماعيل ، وهى الحنيفيـة دين ابراهيم عليهمـا السلام . أما ما كان يحول بين قريش ولذاتها ، كالخمر ، والميسر ، وأشباهها ، فان تحريمهـا لم يتنزل الا بالمدينة ، بعد الهجرة . وما فيه تكليف يشق من الزكاة والصدقات وسائر الأحكام ، فكل ذلك أيضا كان مما نزل بالمدينة لا مما نزل بمكة . فهذا التعليل الذى ذكره الأستاذ لما كان من عداوة قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باطل ، وهو متـابع فيه لكثير من سـخفاء المستشرقين وأشباههم ، بما فى ذلك تقويض السلطان ، لأن الأمر لم يكن بهذا الوضوح يومئذ . وانما يقوله من أخطأ النظر ، وسحب ما صار اليه أمر الاسلام من الظهور والغلبة بعد زمان طويل جدا ، على ماكان فى نأنأة الاسـلام (أى فى أوله ، قبل أن يقـوى ، ويكثر أهله وناصروه ، والداخلون فيه ، فهو عند الناس ضعيف) . وأنى لقريش أن تعـرف ، على كثرتها وغلبتها وخيلائها ، أن نفرا لا يعدون أربعين رجلا أن تكون لهم الغلبة فى الأرض ، فيقـوضوا سلطانهم ؟ هذا عجيب ولا ريب .

وظـل أمر الدعوة محصـورا ، أو يكاد يكون محصورا فى قريش ، الى أن كانت سنة سبع من النبوة ، فائتمرت قريش وكتبـوا كتـابا يتعاقدون فيه أن لا يناكحوا بنى هاشم وبنى عبد المطلب ، رهط رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يبايعوهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا اليهم محمدا صلى الله عليه وسـلم ، وكتبوا الصـحيفة ، وعلقـوها فى الكعبة ، وانحازت بنو هاشم ، مؤمنهم وكافـرهم سنة سبع فى شعب أبى طالب ، وبقوا فى الشعب محصورين لا يخرجون الا من موسم الى موسم ثلاث سنين ، أى الى سنة عشر من النبوة حتى نقضت الصحيفة ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشعب ، فكان أول خروجه بعد ذلك فى الدعوة الى دين الله ، الى الطائف فى شوال سنة عشر ، ثم كان بعد ذلك بمدة ، أن ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه على قبائل العـرب أيام الموسم ، ويدعوهم الى الاسلام ، ويخرج وراءه أبو لهب تبت يده ، وهو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله صلى الله عليه يقـول لقبيلة قبيلة فى الموسم : « من رجل يحملنى الى قومه فيمنعنى حتى أبلغ رسالة ربى ، فان قريشا قد منعونى أن أبلغ رسالة ربى » ، فيقول أبو لهب تبت يده : « لا تسمعوا منه فانه كذاب » . فكانت أحياء العرب تتحاماه لما تسمع من قول أبى لهب تبت يده ، ولما كانوا يسمعونه من قريش من قولهم فيه : كاذب ، وساحر ، وكاهن ، وشاعر .

واذن ، فتقـديم الأسـتاذ ذكر العرب فى انكار دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذكـر قريش ، لا يطابق شيئا من السير ، وخصه قريشا فى انكار الدعوة بما خصها به ، وتأخير ذكرها بعد ذكر « العرب » ، وهو اللفظ الجامع الذى تدخل فيه قريش وغير قريش ، لا يطابق أيضا شيئا من السير . واذن فهو كما قلت لا ينتهى الا الى التوهم والتخرص واظهار التفلسف فى التاريخ بلا أصـل

من منطق قويم . والقاه هذا الكلام القاء مجردا كانه شيء مسلم مقطوع به ، هو داء لويس عوض، الذى ظهرت أعراضه فيما كتبه عن شيخ المعرة ، كما أسلفت بيان ذلك . ومهما يكن من شيء ، فان الأمر لو قد بلغ هذه الغاية ووقف عندها ، لما كان على الأستاذ الفاضل بأس ، بل يقال له ما كان يقال فى المثل : « ليس بعشك فادرجى » (أى ليس هذا من الأمر الذى لك به علم ، فدعه) . وأيضا ، عسى أن يكون معذورا ، فان هذا الخلط متفش عند جمهرة من أدعياء الكتاب فى زماننا ، نقلا عن المرض المتفشى فى كتب الذين طمس الله على عيونهم وعقولهم اذا ذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستشرقين أو المبشرين !! وهم فى الحقيقة جماعة لم يصلوا لشيء ، أو لم يطيقوا أن يكونوا شيئا مذكورا ، فيسرهم الله لما يسرهم له من الاستشراق أو التبشير . ولو أن أحدهم كتب كتابا فى تاريخ أمته ، بمثل العقل والمنطق اللذين يكتب بهما فى تاريخ الاسلام ، لكان مصير ما يطبع منه أن يظل مطروحا عند ناشره ، حتى يفتح الله عليه فيبيعه بالجملة لمن يستعمله لشيء غير القراءة !

هذا ما قاله فى ص : ١٥ من كتابه ، فلا نكاد نصل الى ص : ٣٠ وما بعدها حتى تكون قد قطعنا شوطا بعيدا جدا فى ضروب من العلم تقول فيها : نعم ، يا سيدى ، ولا يا سيدى ! ثم ننتهى الى قوله: « وتقول المصادر العربية ان ملك اثيوبيا (يعنى الحبشة ، كما سأذكر ذلك فيما سيأتى) كان يسمى الأصحم ، أو أصحمة ، وهو اسم لا نجده فى كبرانجست الذى يحوى أسماء ملوكهم، مما يدعونا الى الاعتقاد أن الذى استقبل المسلمين وأكرمهم ومنحهم حمايته ، لم يكن غير البحر نجش ، أى حاكم الولاية الاثيوبية البحرية » .

ولا أدرى ، على التحقيق ، ما هى هذه « **المصادر العربية** » التى يشير اليها الأستاذ ، ولا أدرى لماذا أبهمها كل هذا الابهام ؟ بل أنا أدرى ، ولكن لعل القراء لا يدرون ! . فاسم « أصحمة » الذى لم يجده الأستاذ فى « كبرانجست » ، تجده نحن فيما هو أصدق من «كبرانجست» ، ففى الحديث الصحيح عن جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « قال النبى صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشى : مات اليوم رجل صالح ، فقوموا فصلوا على أخيكم أصحمة » ، هذا لفظ أبى عبد الله البخارى فى صحيحه ، فى كتابه مناقب الأنصار ، باب موت النجاشى . ورواه مسلم فى صحيحه عن جابر : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مات اليوم عبد لله صالح ، أصحمة ، فقام فأمنا وصلى عليه » . وحسبك بهذين مما فيه ذكر «أصحمة» من الحديث الصحيح ، أما ما فيه ذكر «النجاشى» ، دون تعيين الاسم ، فكثير ، وكلها دال على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه «أخا» للمسلمين ، وصلى عليه صلاة الغائب. والذى لا ريب فيه ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يصل قط على غير مؤمن بالله ورسوله، لايهودى ولا نصرانى ولا منافق . فهذا النجاشى الذى نزل عنده المسلمون ، كان قد أسلم ولا شك ، ومات فى رجب سنة تسع ، كما قال الطبرى وغيره ، أو قبل الفتح كما قال بعضهم . وليس معقولا أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سماه «أصحمة» من عند نفسه ، وهو غنى عن أن يذكره اذا لم يكن هذا اسمه الذى عرفه به الناس ، ولا سيما المهاجرون الى الحبشة ، وقد عادوا الى المدينة سنة سبع بعد الهجرة ، بعد أن أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم الى النجاشى أصحمة كتابا يدعوه فيه الى الاسلام ، مع عمرو بن أمية الضمرى ، فأسلم ، وكتب اليه أيضا أن يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان، وكانت فيمن هاجر الى الحبشة، فزوجه اياها . فهل هناك طريق الى معرفة اسم النجاشى، هو أوثق من هذا الطريق ، الذى تدل عليه كل هذه الروابط والصلات ؟ لا أظن ، وان رغم أنف « كبرانجست » . واذا كان « كبرانجست » قد أغفل اسم هذا النجاشى ، فأولى أن يقال ان اغفاله انما جاء من قبل أن الرجل أسلم ، قبل وفاته بنحو سنة أو سنتين ، فحذف اسمه من جريدة ملوكهم، وهم الملوك الذين يدينون بالنصرانية، أليس كذلك؟ أو على الأقل ، أليس هذا رأيا أشبه بالصواب ؟

ولكن الأستاذ الذى عنى فى هذا الموضع (ص : ٣٠) بابهام «المصادر العربية» ، عنى فى ص : ٤٦. بالاشارة الى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ست من الهجرة ، وفصل بين الموضوع الأول ، وهو ذكر «أصحمة» باسمه، وبين موضوع اسلامه الذى دللنا عليه آنفا فقال : « وفى سنة ست أرسل النبى عليه الصلاة والسلام (هذه من المؤلف نفسه) الى

النجاشي كتابا يدعوه الى الاسلام ، فاستقبله النجاشي استقبالا حسنا ، ووضعه على راسه وأسلم على ما تقول المصادر الاسلامية وان كنا لا نجد لهذا سندا مطلقا فى المصادر الاثيوبية (يعنى الحبشية)، ولكن ما عرف عن الاثيوبيين (يعنى اهل الحبشة) من تمسك بدينهم ، يلقى ظلا من الشك على هذه الرواية ، كما أن الرواية توحى بالتكذيب ، اكثر مما توحي بالتصديق ، فقد ذكرت أنه أرسل رده مع ابنه (أريحا) ، ومعه ستون رجلا ركبوا البحر، وسارت بهم السفينة ، حتىاذا توسطت البحر ، هاج عليها ريح فاغرقها ومن فيها · ويظهر أن المؤرخين المسلمين عنوا بانقاذ الكتاب ، فاتوا لنا بنصه ، اكثر مما عنوا بانقاذ أصحابه » انتهى الأستاذ الفاضل من سخريته بالمؤرخين المسلمين !! وهذا بلا شك شيء غير لائق ، أن يوهم القارىء انه رجع الى تاريخ الطبرى ، وقرأه بعينيه اللتين يبصر بهما. ثم يقول ما قال عن « المؤرخين المسلمين » بهذا التعميم المستشنع · ولو حدث ما قاله ، وكان هذا او مثله عند « المؤرخين المسلمين » ، لنفضنا أيدينا منهم منذ زمان ، من قبل أن يستطيع مثل الأستاذ زاهر رياض أن يخط حرفا على ورق !! وهذا الأسلوب ، هو نفس أسلوب المسمى لويس عوض، أو كأنهما ينبعان معا من منبع واحد ·

ولو تركنا كل كتاب ، ولم نعد الا الى كتب التاريخ ، لرأينا ابن سعد فى طبقاته الكبرى (١٥/٢/١ ، ١٦) حين ذكر بعثة رسول الله ، بابى هو وامى ، بكتبه الى الملوك يدعوهم الىالاسلام، يقول : « فكان أول رسول بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشي وكتب اليه كتابين ، يدعوه فى أحدهما الى الاسلام ، ويتلو عليه القرآن · فأخذ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعه على عينيه ، ونزل من سريره على الارض تواضعا ، ثم أسلم ، وشهد شهادة الحق ، وقال : لو كنت استطيع أن آتيه لاتيته . وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باجابته وتصديقه واسلامه ، على يدى جعفر بن أبى طالب لله رب العالمين · وفى الكتاب الآخر يأمره ان يزوجه أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وكانت قد هاجرت الى أرض الحبشة ، مع زوجها عبيد الله ابن جحش الاسدى ، فتنصر هناك ومات · وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتاب أن يبعث اليه بمن قبله من أصحابه ويحملهم · ففعل؛ فزوجه أم حبيبة بنت ابى سفيان ، وأصدق عنه أربعمئة دينار ، وأمر بجهاز المسلمين وما يصلحهم، وحملهم فى سفينتين مع عمرو بن أميه الضمرى ، ودعا بحق من عاج ، فجعل فيه كتابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : لن تزال الحبشة بخير، ما كان هذان الكتابان بين اظهرها » فهذا قول محمد بن سعد المتوفى سنة ٢٣٠ من الهجرة (وانظر ايضا ابن سعد ١٣٩/١/١ مثله)

ثم ياتى ابو جعفر الطبرى ، المؤرخ الثانى ، المتوفى سنة ٣١٠ من الهجرة ، فيذكر فى حوادث سنة ست من الهجرة ، ناقلا باسناده عن محمد بن اسحق صاحب السيرة (المتوفى سنة ١٥١ من الهجرة) قال : « بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، فى شأن جعفر بن أبى طالب وأصحابه ، وكتب معه كتابا : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله الى النجاشي الاصحم ، ملك الحبشة : سلم أنت ، فانى أحمد الله اليكالملك القدوس السلامالمؤمن المهيمن ، واشهد أن عيسى بن مريم روح اللهوكلمته القاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه ، كما خلق آدم بيده ونفخه · وانى أدعوك الى الله وحدهلاشريك له ، والموالاة على طاعته ، وان تتبعنى وتؤمن بالذى جاءنى ، فانى رسول الله ، وقد بعثت اليك ابن عمى جعفرا ونفرا معه من المسلمين ، فاذا جاءك فاقرهم (أى أحسن اليهم) ، ودع التجبر ، فانى أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت ، فاقبلوا نصحى والسلام على من اتبع الهدى = فكتب النجاشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من النجاشي الأصحم بن أبجر ، سلام عليك يا نبى الله ورحمة الله وبركاته ، من الله الذى لا اله الا هو ، الذى هدانى الى الاسلام · أما بعد ، فقد بلغنى كتابك يارسول الله ، فيما ذكرت من أمر عيسى ، فورب السماء والأرض ان عيسى مايزيد على ماذكرت ثفروقا انه كما قلت (والثفروق : هو العلاقة التى تتعلق بها نواة التمرة الى قمعها) · وقد عرفنا ما بعثت به الينا ، وقد قرينا ابن عمك وأصحابه ، فاشهد أنك رسول الله صادقا مصدقا ، وقد بايعت وبايعت ابن عمك ،وأسلمت على يديه لله ربالعالمين· وقد بعثت اليك ، بابنى أرها بن الاصحم بن أبجر ،

فانى لا أملك الا نفسى ٠ وان شئت أن آتيك فعلت يارسول الله ٠ فانى أشهد ان ماتقـــول حق ٠ والسلام عليك يارسول الله » ثم يقول ابن اسحق فى اثر ذلك : « وذكر لى أن النجاشى بعث ابنه فى ستين من الحبشة فى سفينة ، فاذا كانوا فى وسط البحر غرقت بهم سفينتهم فهلكوا » ٠

وهذا كلام واضح لمن يحسن ان يقرأ بالعربية ، ومن لاتعبث بعقله او نفسه عوابث التهيج الدفين، فبعثة النجاشى ولده فى ستين من الحبشة ، التى ذكرها ابن اسحق بصيغةالتمريض والتضعيف وهى « وذكر لى » لا علاقة لها بالخبر المذكور قبلها البتة ، هذا ، على أنه ليس بمعقول أن يرسل نبى أو ملك أو سلطان الى ملك أو سلطان رســولا معه كتاب ، فيجعل الرد مع غير الرسول الذى حمـــل اليـــه الرسالة ، هكذا المعهود فى آداب السفارة والرسالة والبعثة ، هذه واحدة ٠ وأما الاخرى ، فان « مؤرخى المسلمين » الذين يتلعب الاستاذ بهم ويســـخر ، ويحاول أن يضحكنا منهم بخفة دمه يعلمون أن عمرو ابن‌اميه الضمرى رسول رسول الله الى اصحمة ، عاد الى المدينة ومعه جعفر بن أبى طالب واصحابه ، كما قال الطبرى وسائر المؤرخين ، وأنه بقى حيا الى أن مات فى زمان معاوية رضى الله عنه سنة ستين من الهجرة ، فهو الخليق بأن يعرف نص ما أرسل به الى النجاشى ، وما أرسله النجاشى معه ، ومن طريقـه روى الرواة الكتابين المذكورين ، فانقـاذ كتـاب النجاشى (!!) جاء عن هذا الطريق ، لا عن طريق ما خلط فيه الاستاذ الجامعى (أيضا !!) ، وهو يقرأ هذه النصوص ٠ وخبر بعثة النجاشى ولده مع ستين رجلا من الحبشة ، جائز جدا ، وغرق السفينة بهم ، جائز جدا ، ولكن العبث بالنصوص ، ثم السخرية بمؤرخى المسلمين بعد نسبة هذا العبث اليهم ، ليس بجائز أبدا ٠

وأغرب ما فى تمام هذا الكلام ، انه بعد أن أثبت بطلان اسلام النجاشى فى ص : ٤٦ ، قال فى ص : ٤٧ « ومات النجاشى سنة تســـع من الهجرة ، فسرعان ما علم النبى بالخبر ، فدعا أصحابه وصفهم خلفه ، وصلى بهم عليه ، وهذا هو الاصـــل فى صلاة الجنازة على الغائب » ٠ فبـــالذمة (وان لم يكن هذا من أيماننا التى نقسم بها ٠) ، هل يعقل انسان أن نبيا جاء بدين يخالف الدين الذى عليه جماعة من الناس ، يمكن أن يقم صلاة الجنازة على رجل منهم هو عنده فى دينه ضال عن الحق الذى بعث ليدعوه الى اتباعه ، ومجانبة ما كان مقيما عليه من الدين الاول ، ليكون هذا أصلا فى شرع صلاة الجنازة على الغائب ؟ ألم يجد سوى هذا يشرع به الصلاة على الغائب ! من الذى علم الاستاذ هذا الفقه فى دين المسلمين ؟ ليكن من يكون ، فانه ليس أمرا ذا بال ، بعد هذا اللف الطويل فى السراديب ،حتى يبلغ فى تكذيب الاخبار التى رويت بالاســـانيد الصحاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،وعن عمله الذى هو جزء من ديننا ! وتعود مرة أخرى الى حيث ابتدأنا ، بلا محاولة فى تشقيق الامر باكثر من هذه الدلالة على خبث المقصد ٠

فهذا الاستاذ روى فى ص ١٩ ما كان من امر الهجرة الى الحبشة ، فقال : « فلما رأى الرســـول عليه السلام (هذا من عند الاســـتاذ) ذلك ، رق قلبه لانصـــاره ، وخاف عليهـم أن يفتنوا (يعنى تعذيب المشركين للمسلمين) ، فاشـــار عليهم أن يفروا بايمانهم ويهاجروا الى بلاد (الحبشة) ، فان بها ملكا لايظلم عنده أحد » ، ثم عاد فى ص : ٣٠ ، التى كنا قد نقلنا منها النص السالف فقال : « يقول النبى صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم الى أرض (الحبشة) ، فان بها ملكا لايظلم عنـــده أحد » ، وهو يصر على وضع (الحبشة) بين قوسين ، لانه كان يريد أن تكون (اثيوبيا) فعفا عنها فى هـــذه المواضع ٠ ثم يقول فى ص : ٣١ : « أما أن ملك (الحبشة) ، لا يظلم عنده أحـــد ، فهذا حق » ، ويظل يأتى بالادلة على صـــدق هذه المقـــالة ، الى ان يقول فى ص : ٣٣ : « فالمتتبع اذن لتاريخ اثيوبيا منذ أقدم العصور ، حتى القرن الرابع عشر الميلادى (بهـــذا التحديد البديع ، لســـبب يتبين من قراءة كتابه ، ليس من شأنى هنا ان أفصله) ، لايجـــد مكانا للعداوة الدينية وما يتبعهـــا من جدل دينى وحروب دينية ، تقوم على أساس فرض ديانة بعينها، أو ارغام فريق من الناس على اعتنـــاق أو ترك اى مذهب من المذاهب ، وهذا هو ما عناه النبى عليـــه السلام بقوله : ان ملك (الحبشـــــة) ملك لايظلم عنده أحد » ، وهذا كلام حسن ، أو نصف حسن ، أو ربع حسن أو دون ذلك فصبـــا (نقيض قولك فصاعدا) ٠ وهو كلام كان يحسن السكوت عليه ، بيد أن الاستاذ لم يرد ان يسكت ٠ فقال بعد ذلك

مباشرة : « ولكن من أين عرف النبى ذلك ؟» سؤال مهم جدا ، لا يستغنى عنه كتابه الفريد فى نوعه !

وفى الجواب عنه يسلك نفس السلوك الذى سلكه لويس عوض فى أمر شيخ المعرة ، والقارىء يذكر أنه كان يسوق الكلام عن شيخ المعرة كأنه بديهية من المسلمات ، وقد فرغ العلم كله من تمحيصها ، كما ذكرته فى أول المقالة الأولى حيث قال : « وقد تعلم المعرى فى اللاذقية ، كما تعلم فى أنطاكية ٠٠ » الى آخر هذه القصة المملولة. فيقول الاستاذ رياض ، فى جواب سؤال نفسه !! : « أرى أن هذه المعرفة ترجع الى مصادر ثلاثة وهى : أولا : من كان بمكة من أتيوبيين (أى أحباش) ، فجميع المصادر تجمع على أن العلاقات بين أتيوبيا (ويعنى الحبشة أيضا) والحجاز فى ذلك الوقت ، كانت وثيقة مستمرة ، وعاش بمكة كثير من التجار الأتيوبيين (أظن القارىء عرف من هم !) الذين استطاعوا أن يؤسسوا تجارة ناجحة. وكان النبى عليه السلام (من المؤلف) فى شبابه عازفا عن معاشرة لداته من العرب ، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو ومتعة ، بل كان يعاشر أهل الكتاب، ويسمع منهم ويتعلم (هكذا بصريح العبارة ، كما يقولون !) ٠ فهل نستبعد (حاشى لله يا عزيزى) أن يكون النبى عليه السلام قد اختلط بمن اختلط بهم من الكتابيين اتيوبيين عرف منهم أمر اتيوبيا وحالها؟ هذا الى أن استمرار العلاقة بين اتيوبيا والحجاز وسرعتها ، حملت الى تلك البلاد أنباء الدعوة الجديدة، فاتى منهم كثيرون يبحثون عن هذا النبى الجديد ليسمعوا منه ويؤمنوا به » ٠

وكان الأمر واضحا لو اقتصر هذا الكاتب على أن يذكر ما زعم من وجود تجار الحبشة بمكة ، وأن عسى أن تكون أخبار أصحمة الملك النجاشى فى عدله وحكمته قد كانت معروفة فى مكة ٠ ولا يرتاب أحد، أن ذلك ممكن عندئذ أن يكون كما قال الكاتب ، سواء أكان الدليل موجودا على وجه القطع ، أم مستظهرا من بعض القرائن ٠ ولكن ليس شرطا أن يكون تجار الحبشة من الكتابيين ، لأن التاريخ الذى يشهد هو على صدقه فى كتابه ، يدل على أن أهل الحبشة كانوا على ديانات مختلفة ، منها اليهودية ، ومنها النصرانية ، ومنها سائر الوثنيات المختلطة ، ولايستطيع هو ، ولا أحد غيره أن يقطع بان اليهودية والنصرانية كانت يومئذ هى الغالبة على الحبشة ، فربما كان الأرجح أن يكون الأمر يومئذ كان على خلاف ذلك ، أعنى أن اليهودية والنصرانية كانت قلة فى تعداد سكان أرض الحبشة ٠ ومع ذلك ، فهذا أمر لا يعنينى الآن فى شىء ٠ ولكن الذى يعنينى ويعنى كل مسلم ، ثم كل امرىء لا يخالط ضميره الهوى من غير المسلمين ، هو هذه العبارة التى أقحمها الكاتب، بلا مسوغ معقول ، وهو قوله : « كان النبى عليه السلام فى شبابه عازفا عن معاشرة لداته من العرب، ومشاركتهم فيما هم فيه من لهو ومتعة » هذه الأولى، والثانية : « بل كان يعاشر أهل الكتاب ويسمع منهم ويتعلم » ٠ ما هذه المسلمات البديهية !! من أين يأتى بها هذا الظريف الجديد ؟

من قال له ان النبى صلى الله عليه وسلم فى شبابه، كان عازفا عن معاشرة لداته من العرب ؟ أنا أعلم بلا شك من أين أتى بهذا الكلام ٠ هذا شىء قديم كنا نسمعه ونحن أطفال من القسيس زويمر وأشباهه من المبشرين المتسكعين فى طرقات الأرض ، وهو كلام كانوا يخايلون به الأطفال والعوام ، لما أتاح لهم سلطان الاستعمار أن يتجولوا فى بلادنا كما شاءوا ، بلا أحد يدفع عن الناس هذا السخف الساخف (هكذا جرت الكلمة ، والأمر لله) ٠ أو تدرى من أين كان يستخرجه هذا القسيس المريض ؟ من حديث محمد بن اسحق ، عن محمد بن عبد الله بن قيس ابن مخرمة ، عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب عن أبيه ، عن جده على بن أبى طالب قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما هممت بشىء مما كان أهل الجاهلية يعملون به الا ليلتين ، كلتاهما عصمنى الله فيهما ٠ قلت ليلة لبعض فتيان مكة ، ونحن فى رعاء غنم أهلها : أبصر غنمى حتى أدخل مكة أسمر فيها كما يسمر الفتيان ٠ فقال : بلى ، قال : فدخلت حتى جئت أول دار من دور مكة، سمعت عزفا بالغرابيل والمزامير ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : تزوج فلان فلانة ، فجلست أنظر ، وضرب الله على أذنى ، فوالله ما أيقظنى الا مس الشمس » ، وذكر المرة الأخرى مثلها ، واسناد الحديث فيه نظر، وهو عند المحدثين غريب. ومع كل ذلك ، فليس فيه شىء يدل على أنه كان عازفا عن « معاشرة لداته من العرب » ، وأى امرىء يعقل هذا أن يكون ! الم يكن للداته عمل الا اللهو والمتعة بالليل والنهار حتى يعزف عن معاشرتهم ! بأى عقول يفكر هؤلاء الناس؟

ولكن هكذا يريدون • فاذا كان كل لداته من أهل مكة لا عمل لهم الا اللهو والمتعة ، والحديث دال على أنه لم يهم بشيء من ذلك الا مرتين ، فهو اذن لم يكن يعاشر لداته• واذا لم يكن يعاشر لداته، فمن يعاشر؟ يعاشر أهل الكتاب • لماذا ؟ لأن أهل الكتاب من الأحباش وغير الأحباش ، ممن كان بمكة ، لا يمكن أن يكون من أهل اللهو والمتعة • ولماذا ؟ لأنهم أهل الكتاب !! وبهذا المنطق السليم الذى لا عيب فيه الا أنه منطق مبشرين ومن كان على شاكلتهم قديما أو حديثا ، فى اضطراب موازين الادراك الانسانى ، يستطيعون أن يصلوا الى النتيجة التى يطلبونها ، وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم : « كان يعاشر أهل الكتاب ويسمع منهم ويتعلم » • وهذه بلا ريب بديهيات ينبغى أن يقرأها شباب المسلمين وشيوخهم، ويستفيدوها من القسيس زويمر ، ومن الاستاذ زاهر رياض ، بلا اعتراض ولا ارتياب • فهى مسلمات لا يستطيع العقل أن ينقضها، والا فمن أين تعلم هذا العربى الاسماعيلى الذى لم ينحدر من رحم سارة امرأة ابراهيم عليه السلام ، بل من رحم الجارية هاجر المصرية التى وهبتها له سارة ، فلما حملت باسمعيل صغرت مولاتها فى عينيها ، فشكت ذلك الى ابراهيم ، فردها اليها وقال لها : افعلى بها ما شئت، فأذلتها سارة حتى هربت هاجر من وجهها ؟

ولكن الأستاذ لا يقتصر على هذا القدر ، فانه لا يشفى غليلا ، كما لم يشف غليلا للويس عوض أن يتعلم شيخ المعرة فى اللاذقية وأنطاكية ، فأضاف اليهما راهب دير الفاروس • وذلك أن القارىء قد يظن أن أهل الكتاب هم الذين ذكرهم وحسب ، اى « التجار الاثيوبيين » فهؤلاء قد يكونون جهلة ، لا يكادون يعرفون من أمور الدين والدنيا شيئا يمكن أن يتعلمه أحد ، وهم كذلك بلا ريب عندى أنا على الأقل . **فماذا يفعل** ؟ يمضى من ص : ٣٤ ، فى خلط كثير لا أحب ان أقف عنده ، حتى يصل الى ص : ٣٨ فيقول : « فاذا نزل بالنبى عليه السلام وأصحابه مما كانت تمطرهم به قريش من اضطهاد وتعذيب ، تذكر ما كانت ترويه له أم أيمن من أخبار وطنها (وهذا اكتشاف ذكى انفرد الاستاذ ببيانه فى ص ٣٧) ، واضافة الى ما عرفه من الموالى الاثيوبيين، وزاد عليه ما عرفه من تجارهم وقساوسهم الذين اختلط بهم بمكة فيما سبق من حياته » • وهذه مهارة وحسن تصرف ، فانه لم يرد أن يضع « القساوسة » فى المادة الأولى من مواد الاتهام الثلاث ، فأجلهم حتى انتهى ، ثم جاء يذكرهم عرضا ، كأنه لا يعنى شيئا، وكأن هذا الأمر مسلم لا غبار عليه ، تنطق به كتب « المؤرخين المسلمين » ، بلا حاجة الى دلالة على موضعه ، كما فعل فى أمر اسلام أصحمة النجاشى الذى آذاه كل الأذى أن يكون قول « المؤرخين المسلمين » فيه قد بلغ هذه الدرجة المنكرة من السوء ، ونسبة هذه الشناعة اليه !!

وأنا بلا ريب ، لا أبالى بما يقوله هذا الأستاذ الجامعى الآخر ، فى مثل هذا الشأن ، وأظن أنى لم أبال بمثل ذلك قليلا ولا كثيرا ، حين نقلت فى المقالة الخامسة ، عن عبد المسيح بن اسحق الكندى ما جاء فى كتابه الذى طبعه المبشرون طبعات كثيرة ووزعوه فى كل مكان ، وعسى أن تكون عند الأستاذ منه نسخة ، والا فانى أتبرع باهدائه نسخة نفيسة منه• وقد زعم عبد المسيح بأصرح من هذا الكلام الملفف فى الألفاظ ، وفى كثرة الصلاة والسلام على نبينا صلى الله عليه وسلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، انما هو تلميذ لسرجيوس الراهب ، الذى أنكرته الكنيسة وطردته ، فانتهى الى مكة ، وتلطف برسول الله ، بأبى هو وأمى ، حتى استماله ، وتسمى عنده نسطوريوس ، وأزاله عن عبادة الأوثان ، ثم صيره داعيا وتلميذا له يدعو الى دين نسطوريوس • وأنا لا أقول انى لم أبال بهذا ولم أحفل به ، لأنه أمر هين ، كلا ، بل لأن الذى يقرأ القرآن ويسمع ماقاله المشركون وغير المشركين ، للنبى الله صلى الله عليه وسلم ، ويتلو ذلك مرة بعد مرة الى آلاف المرات ، يجد أن هذا السخف الذى جرى على لسان عبدالمسيح وورثته من بعده ، لا يعد سوء أدب ، بل هو سوء عقل • ومن كلف نفسه تتبع سوءات العقول التى تشبه عقل عبد المسيح ، أضنى نفسه فى غير طائل. والله تعالى يقول فى سورة النحل : « ولقد تعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » ، فلم يتردد أحد من المسلمين فى أن يذكر الأقوال المختلفة فى اسم هذا المشار اليه ، قيل اسمه : « بلعام » ، وقيل «يعيش»، وقيل « جبر ، غلام نصرانى » ويقال بل « جبر » وآخر اسمه « يسار » كانا يقرآن التوراة ، وقيل « سلمان الفارسى » • وظاهر بلاريب ، عند المسلمين

ان القرآن لا يمكن ان يكون كلام بشر اعجمي أو غير أعجمي ، وظاهر أيضا بدليل العقل والبصر أن ما في القرآن من القصص الذى يدعى بعض الناس فيه ما يدعون ، مخالف كل المخالفة لما فى التوراة والانجيل، لا فى سياقه فحسب ، بل فى العقائد المتصلة به التى ترفض ما لا يقبله العقل ، كما أسلفت فى المقالة الماضية ٠

وقد يظن الاستاذ الظنون فيلتمس المخارج ، لانه يتوهم انه بهذا الاسلوب المتداخل الموحى بلا تصريح، يستطيع أن يقول مبتسما : ولكنى لم أرد ان اذهب هذا المذهب فى تعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم الدين من تجار الاحباش وقساوسة الاحباش ، بل أردت هذه الاخبار العامة عن أحوال الناس والدنيا. فيقال له : فما الذى حملك اذن على أن تكتب : « كان يعاشر أهل الكتاب ويسمع منهم ويتعلم» ، ثم حملك على أن تزيد الامر وضوحا بالتكرار الملفف فتقول فى اثرها : « فهل تستبعد أن يكون عليه السلام قد اختلط بمن أختلط بهم من الكتابيين أثيوبيين » ؟ فهذا واضح جدا فى أن أصناف الكتابيين الذين كان قد اختلط بهم كانوا أحباشا وغير أحباش ، وهم الاكثر ٠ واذا كان الامر امر أخبار عن ملك عادل فى الحبشة ، كتابيا كان أو غير كتابى ، فما الضرر فى أن يكون حامل الخبر أيضا كتابيا أو غير كتابى؟ ما معنى هذا النص والتكرار والتشدق باللفظ والتلمظ بذكره ؟ واذا كان هذا الرجل الذى تصلى عليه وتسلم نبيا يأتيه الخبر من السماء بأخبار الماضين على فصها ، ناعيا على أهل الكتاب تبديلهم لكتابهم ، فما الذى يمنع أن يأتيه الخبر من السماء أيضا بأمر الملك العادل اصحمة النجاشى رضى الله عنه ؟ وانا لا الزمك بهذه الحجة ، ولكنى كرهت التهويل الذى هولته فى جواب سؤال ، لا معنى له فى الحقيقة عندنا نحن ، ولا عندك ان كنت صادقا فى انك تريد الاخبار لا الدين ، وكان من بديهة العقل السليم أن تقول عندئذ : انك تظن انه سمع هذا ممن كان من الاحباش بمكة ، وممن كان يتردد عليها منهم وممن دخل بلاد الحبشة ، وكفى الله المؤمنين القتال ! وخرجت بذلك من كل ما دخلت فيه المعرة والعيب والتواء القصد ٠

ومع ذلك ، فانت ان قلت ذلك غير صادق فيما تقول ، لانى أستطيع أن أستخرج لك الدليل بعد الدليل على اتجاه الكتاب كله ، لا فى هذا الموضع فحسب ٠ وسأزيد الامر بيانا باكتشافك العجيب الذى ادعيت أن المؤرخين لم يعنوا به ، وهو مسألة «ام أيمن» ، رضى الله عنها ٠ ولا أحب أن أصف فعلتك التى فعلت ، ولكنى سأدع الامور تسير بك وبالقارىء الى غاياتها ٠ زعم كتابك (لا انت!) أن ام أيمن حاضنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان لها تأثير عليه ، لبعض كلمات حبشية كان يقولها صلى الله عليه وسلم ، ولذلك فام أيمن عندك « لم تكن صغيرة السن يوم جاءت الى جزيرة العرب، والا كانت قد نسيت لغتها » ٠ وهذا كله تخرص عجيب ، فانك قطعت بأن هذه الكلمات انما جاءته من « أم أيمن » ، بلا دليل ، ثم جعلت الشىء المجهول عن « أم أيمن » دليلا على صدق ما تذهب اليه ٠ والا فحدثنى من الذى حدثك أن أم أيمن كانت تتكلم الحبشية أو تعرفها ؟ وأنت نفسك تقول : « ان المصادر تجهل كل شىء عن ام ايمن قبل أن تكون جارية لعبد الله بن عبد المطلب » (والد رسول الله) ، أفتريد أنت أيضا ان تقف تتنبأ ، كما وقف لويس عوض يتنبأ بأن شيخ المعرة قصد أنطاكية : « وتعلم بها وهو صبى » ؟ ورسول الله قد ورث ام أيمن عن أبيه عبد الله ، فما الذى يمنع أن يكون عبد الله قد وهب له جده عبد المطلب أم « أم أيمن »، و « أم ايمن » نفسها فى حياته ، وأن يكون عبدالمطلب قد ورث « أم أيمن » ، عن أبيه هاشم ، وهلم جرا ؟ فتكون اذن من « القن » ، وهو الرقيق الذى آباؤه مماليك ٠

وساعلمك ما لم تكن تعلم ، لتعلم أن المؤرخين لم يقولوا شيئا مما قلت ، لانه باطل من كل نواحيه ٠

فام أيمن رضى الله عنها ماتت فى أول خلافة عثمان رضى الله عنه ، أى فى نحو سنة ٢٤ من الهجرة ، وذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو أربع عشرة سنة تقريبا ٠ فاذا كان رسول الله قد عاش ثلاثا وستين سنة ، فهذه سبع وسبعون سنة ٠ فهب أنها كانت كما تقول ، فى نحو الخامسة عشرة من عمرها يوم ولد رسول الله، فكأنها عاشت اثنتين وتسعين سنة ٠ أليس كذلك ؟ فأعود فانظر، فاذا ولدها أسامة بن زيد حب رسول الله ، كان يوم توفى رسول الله فى الثامنة عشرة الى العشرين من عمره ، فيكون أقصى مولده سنة تسع قبل الهجرة ، أى بعد بعثته صلى الله عليه وسلم بأربع سنوات ، أليس كذلك ؟ فاذا كانت أم أيمن حضنته ، بأبى هو

وامى ، وهى فى الخامســـة عشرة ، وبقيت الى ان كرمه الله بالنبوة فى الأربعين وولد أسامة بعد ذلك باربع‌سنوات فكأنها ولدته وهى فى‌التاسعة والخمسين من عمرها ؟ أتظن أن أم أيمن ولدته فى هذه السن ؟ فاذا كان هــذا أمرا مرغوبا عنه لغرابته وبعده عن المعهود من الولادات ، أليس من الاوفق أن يقال أن أم أيمن كانت فى نحو الخامسة من عمرها يوم ولد صلى الله عليه وسلم ، وأن يكون قوله « أم أيمن امى بعد امى » ، و « وبقية أهل بيتى » انما يريد به انها كانت تحـوطه وترعاه حيـــاطة الأم ، دون نظر الى السن ؟ أعلمت الآن لماذا لم يعن المؤرخون بهذا الامر عنايتك أنت به ، ولا سيما المؤرخون المســلمون ؟ لانهم يكرهون الدعوى العريضة ، والتعـــالم الذى لا يقوم على أصل ، ولم يكن عند أحد منهم نية أن يقول : « ان هذه السيدة الاثيوبية (الحبشية مرة أخرى) ، لا يســتبعد ان تكون قد وعت كثيرا من أخبار وطنها ، لتلقنه الى هذا الصبى ، اذا ماسكن اليها ليلا ، أو جلس اليها نهارا ، لتقص عليه مايألفه الصبيان من قصص تؤثر فيهم ، وتطبعهم بطابعها»، كما قلت‌أنت وأنا أسألك : مادخل«القصص» فى خبر عن‌ملك عادل‌من ملوك الحبشة ؟ وماذا يعنى الصبى‌من مثل هذا الخبر؟وأى طابع يطبع‌به الخبر صبيا مثله؟ وما هذه الاشـــارة الى «تطبعهم بطابعها» ؟ وكم كان عمر هذه الفتاة حين جاءت من الحبشة ، وبقيت عند عبد الله ؟ ومن عاصرت من الملوك ؟ وهل هذا الملك الذى عرفت خبره هو أصحمة النجاشى ؟ وهل بقى أصحمة أو غيره فى الملك الى ان جاوز رســول الله الرابعة والاربعين من عمره ؟ كل هذه أسئلة محيرة، لا يجد أحد عنها جوابا ســهلا لطيفا كالذى وجدته أنت عن سؤالك ، ولا عن طريق التنبؤ ؟ واعلم ان مؤرخى المسلمين كانت لهم عقــول غير عقول الذين كتبوا «كبر النجست» الذى أردت أن تكذب به حديث نبينا صلى الله عليه وسلم •

ان هذا المسلك المعيب الملفف الملتوى ، فى تكذيب الحديث الصحيح ، وفى بث الالفاظ الموحية هنــا وهناك ، وفى القاء الاقوال الكاذبة المخترعة القبيحة كانوا اخبـــار صادقة مسلمة لا يرتاب فى صحتها احد ، وفى ترك المجـاهرة باسلوب صريح دال على شرف العقل والنفس ، كل ذلك لايليق برجل يكتب كتابا ينشره على الناس ، وهو منتسب الى جامعة، ويتولى التدريس فى أخطر معهد شانا ، وهو «معهد الدراسات الافريقية» ، والموضــوع الذى يكتبه فى صميم الدراسات الافريقية ، وهو موضـوع محفوف بالامور الشائكة ، لان كل كتــاب أوربى ينشر او نشر فعلا ، لا يكف عن الاشارة الى ان المعركة فى افريقية آتية لامحالة بين الاسلام والمسيحية الاوربية، أى بين الاسـلام والتبشير • فمن اللعب بالنار ان يدخل الاستاذ الجامعى ثيابه كلها فى هذه النار • وهذا أمر أدعه لمن ينبغى أن ينظر فى هذا الامر • ولكنى أحذر أن تستمرىء هــذه الفئة التى ضللت عقولها وسائل المبشرين هذا الاسلوب ، فلا تبالى أن تعرض باسـلوبهم لتـــاريخ المسلمين والعرب فى الحبشة وغير الحبشة ، ثم لا تتـــورع أن تتطاول بالتعريض والتلميح على رسول الله بهــذا الاسلوب المستشنع ، لأن ســلوك هذا الطريق مفض الى نار حامية فى الدنيا ، ونار حامية فى الآخرة • وعسى ان تكون هذه الكلمة قاطعة لكل مناج فى السر، لانى لم امس من هذا الكتـــاب الا صــفحات قلائل ، أما سائره ، فعسى أن يعيد فيه صاحبه النظر ، ويتبرأ من جرائره التى انســاحت فيه بلا حذر ، كمـــا انساحت فى كتب له أخرى ، لم احاول ان أذكر منها شيئا ، لان القصد لم يكن اليه ، بل الى الكشف عن هذه المشابه المريبة بين كتابه هذا ، ومايكتبه الآخر الذى حملنا على هذا المركب الوعر •

« محمود محمد شاكر »

كلمات في كلمات

بحوث لغوية تاريخية

بقلم: حامد عبد القادر

- ١ -

طلب الى صديق عزيز على أن اكتب فى مجلة الرسالة الغراء . فقلت : لقد ذكرتنى أيها الأخ الصديق بعهد الشباب والنشاط ، واثرت فى نفسى رغبة أثيرة لدى ، طالما حرصت على تنفيذها ، ولكن حالت ظروف خاصة دون تحقيقها . ومن ثم تجدنى مستعدا لتلبية طلبك ، شاكرا لك كريم ثقتك ، ومستمدا من الله تعالى المعونة على المشاركة الصادقة فى تثقيف الجيل الصاعد ، وتبصيره بما قد يخفى عليه من ماضيه المجيد ، وحاضره السعيد ، الذى أشرقت عليه شمس الحرية ، وشملته نعمة الاشتراكية ، وعمته المحبة الصادقة بين الرؤساء والمرؤوسين ، وساد فيه التعاون بين الحكام والمحكومين . وامحت منه آثار الاستعمار والاستعباد وتقلص ظل الاستغلال والرجعية أو كاد .

والآن أيها الأخ الصديق . فى أى الموضوعات اكتب ؟ وبأيها أبدأ ؟ اقترح على من الموضوعات ما قد يتقبله القراء بقبول حسن ، ويقبلون عليه بنفس راضية وقلوب مطمئنة .

قال الصديق - فى حياء رفيع ، وتواضع جم ، وهما حياء وتواضع عهدتهما فيه ، ولا يخفى شئ منهما على من عرفوه كما عرفته ، وان من يقرأ شعره يكاد يلمسهما فيه ، ويلمس معهما رقة الالفاظ وعذوبة الأساليب ، ودقة المعانى ، وسمو الأغراض .

لست اريد بذلك أن اطرى هذا الصديق فهو فى غنى عن اطرائى ، بل أريد أن أعبر عن شعورى نحوه حينما قال لى ردا على سؤالى : « اكتب ما تشاء ان تكتب فى أى موضوع تشاء » .

قلت : امهلنى قليلا حتى أفكر وأتأهب . ولكنه لم يلبث ان خاطبنى يطالبنى بالاعراب عن نتيجة تفكيرى . فقلت : لقد وصلت الى عنوان لبحوث مختلفة لست أشك أنك ستضحك حينما تسمعه « قال : هاته » قلت : « **كلمات فى كلمات** » .

وخشيت أن يقول معقبا : اذن هو «تربيع كلمات» أو كلمات تربيع كما يقول علماء الحساب ، فأسرعت الى شرح المراد من هذا العنوان ، فقلت ان المقصود هو : « بحوث موجزة لغوية تاريخية » يدور كل بحث منها حول كلمة واحدة ، ويشمل كل ما هو معروف عنها من الناحيتين اللغوية والتاريخية فالمقصود من « كلمات » الأولى غير المقصود من « كلمات » الثانية ، ومن ثم لا يصح أن يكون معنى هذا العنوان : « تربيع كلمات » ، لأن مربع العدد هو العدد مضروبا فى نفسه ، فالمضروب والمضروب فيه متساويان . وليس الأمر هنا كذلك كما لا يخفى . ويبدو أن الصديق العزيز ارتاح الى هذا الكلام .

- ٢ -

وقد جعلت من مقدمة هذه البحوث بحوثا خاصة ببعض الأعلام الاجنبية الواردة فى القرآن .

وهنا نسأل : كيف يشتمل القرآن الكريم على أعلام أو كلمات أجنبية ليست عربية والله تعالى يقول فى عشرين من آى الذكر الحكيم ما يفيد أنه أنزل بلسان عربى مبين ؟ .

لقد اختلف العلماء فى الجواب عن هذا السؤال فقال أبو عبيدة : ليس فى القرآن لسان سوى العربية ، ومن زعم خلافه فقد أعظم على الله حجته . قال تعالى : « انا جعلناه قرآنا عربيا -٣/الزخرف. وذهب أبو عبيدة الى أن ماوقع فى القرآن الكريم من أعجمى فانما هو من اتفاق اللغتين .

وروى عن ابن عباس وعكرمة ومجاهد ــ وهم من اجلاء المفسرين ، ان القرآن يشتمل على أحرف كثيرة غير عربية كسجيل ،ومشكاة ، وأباريق ،واستبرق، ويم ، وطور ٠

ووفق أبو منصور الثعالبي بين الرايين فقال : ان هذه الاحرف اعجمية بحسب الأصل،ولكنها لما عربت صارت من اللسان العربي فهي أعجمية أصلا عربية حالا ٠

اى ان هذه الأعجمية الأصل قد اخذها العرب عن العجم لسبب ما واستعملوها قبل نزول القرآن الكريم ، وشاع استعمالها فيما بينهم ، ولاكتها السنتهم فصقلتها واخضعتها لأساليبهم من تكوين الكلمات ، وطرائقهم فى النطق بها ، وبذلك دخلت فى كيان اللغة العربية ، وجاء القرآن الكريم فاستعملها ، لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها عربية ، فصح أن يقال ان القرآن الكريم نزل بلسان عربى مبين ٠

ولعمرى ان هذا راى تطمئن اليه وتقول مثله فى آلاف الألفاظ الأعجمية ، التى تعرب وتصقل وتهذب، وتدخل اللغة العربية فى عصرنا الحاضر ، اى أننا نعدها بعد صقلها وتهذيبها كلمات عربية تجرى عليها ما تجرى على الالفاظ العربية الأصيلة من اعراب ،وتثنية وجمع ، وتصغير ونسب ، ونحوها ، ونشتق منها أفعالا ، ونكون منها كلمات أو أسماء اخرى بطريق التركيب المزجى أو النحت كلما دعت الحاجة الى ذلك ٠

- ٣ -

هذا وان من يتتبع الأعلام أو الألفاظ الأجنبية الأصل سواء ما ذكر منها فى القرآن الكريم وما لم يذكر ـ يجد انها مركبة أو غير مركبة ٠ ويجد ان المركبة أربعة أنواع هى :

(أ) مركب وصفى ٠
(ب) مركب اضافى ٠
(جـ) مركب اسنادى ٠
(٥) مركب مزجى ٠

وسترى فيما يلى توضيحا لذلك التقسيم والتمثيل لكل قسم ٠

وان الترتيب الهجائى يقضى بأن تجعل :

ابراهيم

وفى مقدمة ما نتحدث عنه من الأعلام ، « ابراهيم » لانه بدىء بالالف أو الهمزة أول الحروف الأبجدية العربية ، وجاء بعد الألف الحرف باء وهو الحرف الثانى من هذه الأبجدية ٠

هذا الى أن ابراهيم عليه السلام جد العرب واليهود ويسميه القرآن الكريم أبا المسلمين ، ويقول عن الاسلام انه ملة ابراهيم ٠

يقول تعالى : « وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم ٠ وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، ملة ابيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل : ٧٨ / الحج ٠

لهذا وذاك كان العلم ابراهيم أولى بالتقديم ونتحدث عن هذا العلم :

من الناحية اللغوية ، فنقول ان له فى القرآن الكريم صورة واحدة هى ابراهيم ، وقد حذفت منه الف المد لأنها لا وجود لها فى العبرية ، واستعيض عنها بالف قصيرة توضع فوق الراء كما ترى ٠

اما فى التوراة فله صورتان هما : ــ

١ ــ אַבְרָם = أبرام ٠ وهى مركب وصفى يتكون من كلمتين الاولى : اب ، والثانية : رام ، بمعنى سام او رفيع وفى العربية : الريم : الفضل والزيادة ، فمعنى المركب هو أب رفيع ، وقد سمى بذلك خليل الله تعظيما له ٠ وكان ذكره لأول مرة فى التوراة فى الفقرة السادسة عشرة من الفصل الحادى عشر من سفر التكوين ، وهو أول أسفار التوراة :

٢ ــ אַבְרָהָם : أبراهام ٠ وقد سمى بذلك لما بلغ التاسعة والتسعين من عمره ، وعظم شأنه ٠

وهذه الصورة مركب اضافى من كلمتين ٠ الاولى אָב بمعنى أب ، وهى مضاف

والثانية רָהָם = راهام ، بمعنى جمهور (من الأمم أو الشعوب) وهى مضاف اليه ٠ وفى العربية الرهام كغراب : العدد

الكبير ، فمعنى التركيب : أبو جمهور (من الامم او الشعوب) ·

وقد فسرت التوراة هذا الاسم فى الفقرة الخامسة من الفصل السابع عشر من سفر التكوين ، فقد ذكر فيها ما ترجمته : « وتكون أبا لجمهور من الأمم· فلا تسمى بعد آبرام ، بل يكون اسمك « ابراهام » ، لأنى أجعلك أبا لجمهور من الامم · » ، وهذا خطاب من الله تعالى لابراهيم عليه السلام ·

ومن بين هذه الامم ! اليهود ، وعرب الشمال ، وعرب الجنوب ، والايدوميون ، والانباط وغيرهم ·

ولما عرب هذا العلم جعل « ابراهيم » (١) بكسر الهمزة وجعـــل الفتحة الطويلة الثانيـة ياء مد · وكان ينبغى أن تثبت الالف الاولى فيكتب العلم هكذا ابراهيم ولكن الرسم العثمانى لا يثبتها · والسبب فى ذلك ـ فى رأيى ـ هو أن هذه الالف التى تمثل الفتحة الطويلة لا وجود لها فى العبرية، وانما تمثل الفتحة الطويلة لا وجود لها فى العبرية ، وانما تمثل هذه الحركة علامة خاصة توضع تحت الحرف كمـا ترى · وقد اســتمرت العربية تحاكى العبرية فى ذلك حتى جاء الخليل ابن أحمد فوضع الألف لتكون علامة لمد الفتحة ، وقد اتبع هذا النظام فى الكتابة العادية ، وبقى النظام القديم متبعا فى كتابة المصحف العثمانى ولا يزال متبعا فيه حتى الآن ·

ولا يزال النظام القديم متبعا فى رسم بعض كلمات منها : هذا ، وهذان ، وهؤلاء وأولئك ، ولكن وهأنتم وهؤلاء ، واسحق ، واسمعيل ، والسموات ، هكذا ·

وفى رأيى أنه قد آن الأوان للتحرر من هذا النظام المزدوج ، والتمشى مع روح اللغة العربية ، وذلك بأن نــكتب كما تنطق ، فنكتب الكلمات السابق ذكرها هكذا : هاذا ، هاذان ، هاالاء ، الائك ، لاكن ، ها أنتم ، ها ألاء ، اسحاق ، اسماعيل ، السماوات، هاكذا ، اننا اذا فعلنا ذالك خلصنا العربيـــة من الشوائب الأجنبية ، ويسرنا على تلاميـــذنا تعليم اللغة العربية ، فانهم لايزالون يضجون بالشــكوى من صعوبة تعلمها ·

---

(١) يقول الفيروزبادى فى مادة رهم : وابراهام وابراهوم وابراهم مثلثة الهاء وابرهم بفتح الهاء بلا ألف اسم أعجمى ·

- ٤ -

ننتقل بعد ذلك الى الحديث عن ابراهيم عليـه السلام :

من الناحية التاريخية :

ليس بخاف عليك أيها القارىء الكريم ان تاريخ ابراهيم عليه السلام جزء من التاريخ القديم الذى تعد الكتب المقدسة أهم مصادره ، ولذا يغلو فريق من الذين يميلون الى الشك فى كل شىء فيقولون ان هذا التاريخ من قبيل الاساطير الموضـــوعة ، التى لا تستند الى أدلة واقعية يقينية ، ولكن هذا راى بعيد عن الصواب، يستنكره معظم المؤرخين، ويقررون أن ابراهيم شخصية تاريخية ، فلا ينبغى أن يشك أحد فى أنه وجد ، ولا فى أن له تاريخا مجيدا روته لنا الكتب المقدسة ، وفى مقدمتها التوراة والقرآن الكريم ·

ويرى المحققون من المؤرخين استنادا الى بعض أدلة علمية أن ابراهيم هاجر مع أبيه من « أور » الكلدانية التى كانت تقع جنوبى العراق وان هذه الهجرة كانت فى حدود القرن العشرين قبل الميلاد ، أى منذ مايقرب من اربعة آلاف سنة ·

ومما هو جدير بالذكر أن التوراة لاتذكر الاسباب التى دعت ابراهيم الى أن يهجر وطنه ومسقط راسه ويهاجر الى حاران فى أعالى الجهات الغربية من حوض الفرات ، ومن ثم الى كنعان · وكل ما أثر عن سبب هذه الهجرة ماذكر فى مستهل الفصل الثانى عشر من سفر التكوين وهو أنها كانت تلبية لامر من الله تعالى ، وماذكر فى الفقرة الثانية من الفصل الحادى والخمسين من سفر أشـعيا ، حيث يقــول الرب ما ترجمته : « انظروا الى ابراهيم أبيكم ، والى سارة التى ولدتكم ، لأنى دعوته وهــو واحد وباركته وأكثرته ·

وتفيض التوراة فى سرد قصة ابراهيم بعـــد أ: ترك مع أبيه آذر الذى تسميه التوراة تارح ، ولوط ابن أخيه هاران ، وساراى امرأة ابراهيم وتستمر فى

سرد القصة بشيء من التفصيل الى أن تذكر تزوج ابراهيم من هاجر أم اسماعيل ابنه ، ثم ولادة سارة لاسحق بن ابراهيم ، ثم ولادة يعقوب وعيسو ابني اسحق .

كل ذلك تسرده بأسلوب سردى عادي جاف خال من الاشعاع الوجدانى الذى من شأنه أن يؤثر فى التكهن ويثير وجدانه ، ويحرك عاطفته الدينية .

والتوراة مع ذلك لاتعرض قليلا ولا كثيرا مما فعله ابراهيم عليه السلام حتى يستحق أن يكرمه الله ويرعاه ، ويغدق عليه نعمه ، ويعده عدة مرات بأنه سيكثر ذريته ، ويهب له ولذريته أرضا بعيدة الاطراف فسيحة الارجاء .

والحق أنه مما يدعو الى العجب أن تخلو التوراةمن حديث الوثنية التى قاومها ابراهيم ، وضحى بنفسه فى سبيل استنكارها ودعوة قومه الى نبذها وعبادة الله وحده .

هذا فى حين أن القرآن الكريم يعنى اشد عناية بقصة الوثنية وعبادة الاوثان التى درج عليها قوم ابراهيم ، ويصور أحسن تصويرذلك الصراع العنيف بين التوحيد والوثنية ، وما كان من مناوأة ابراهيم للأصنام ، واستهزائه بها وبما يعبدونها ، ويبين أجلى بيان كيف تطورت حياة ابراهيم الدينية ، وكيف هداه الله الى النظر فى السموات وما فيها من بدائع خلق الله وعجائب صنعه التى تدله على عظمته ووحدانيته .

كل ذلك بأسلوب رائع قوى مؤثر يفيض عاطفة ووجدانا ، ويوقظ فى النفس شعورا دينيا صادقا. اقرأ قوله تعالى : « واذ قال ابراهيم لأبيه آذر أتتخذ أصناما آلهة انى أراك وقومك فى ضلال مبين ، وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم انى برىء مما تشركون ، انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين : ٧٤ ـ ٧٩/ الانعام .

ثم اقرأ قوله سبحانه : ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين . الآيات ـ ٥١ ـ ٦٩/الانبياء

الحق أن هذه الوثنية الممقوتة هى التى جعلت ابراهيم عليه السلام يزهد فى الاقامة فى وطنه ومسقط رأسه ويجد فى المهاجرة الى ربه .

وهذا عينه هو ما حدث للرسول الكريم محمد ابن عبد الله ، فما أشبه قصة هذا الرسول الكريم بقصة أبيه ابراهيم ، فكلاهما استنكر الوثنية ، وكلاهما سار فى طريقه غير آبه بما يلقى من عذاب بل يستعذبه ، وكلاهما صبر وصابر حتى اضطر الى أن يهجر وطنه ، ويترك قومه وعشيرته ، ويهاجر الى مكان آخر حيث يتسع أمامه مجال الدعوة الى الدين الحق فى حرية واطمئنان .

حركتان مباركتان صدرتا عن مبدأ واحدا هو مبدأ التنزيه والتوحيد ، ومبدآن قويمان نبعا من معين واحد هو الفيض الالهى منبع الهداية والتأييد.

ـ ٥ ـ

مما تقدم تدرك مابين التوراة والقرآن الكريم من فروق فى عرض قصة الخليل ابراهيم .

بيد أننا نقرأ فى التوراة مالانجده فى القرآن الكريم وهو أن الله تعالى يعد ابراهيم عدة مرات أن يهب له ولذريتهأرضا بعيدة الاطراف فسيحة الارجاء وهى وعود تختلف قوة وضعفا وتتفاوت غموضا ووضوحا .

وهذا هو ما سنتحدث عنه فى عدد تال من أعداد هذه المجلة ان شاء الله ..

« **حامد عبد القادر** »

دراسة وجودية فى ٤ مقالات :

فلوبير .. مثلا !

بقلم : انيس منصور

(٣) النقد المعاصر

أى المعاصر لفلوبير نفسه ، والمعاصر لنا ..

وقبل أن أنقل رأى النقاد فى قصة مدام بوفارى ومن المؤلف أبادر وأنقل سطورا من خطاب بعث به فلوبير بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٨٥٣ الى عشيقته الشاعرة لويز كوليه :

انه لشىء رائع أن يكتب الانسان ، انه يصبح انسانا آخر ، لأنه يرتاد هذا العالم الغريب الذى حوله والذى خلقه لنفسه . فاليوم ، مثلا ، خرجت رجلا وامرأة ، عاشقا وعشيقة فى نفس الوقت ، على ظهر حصان ، فى غابة ، فى خريف يوم ، تحت الأوراق الصفراء .. وكنت أنا الحصان والأوراق الذابلة والمديح والكلمات المتبادلة والشمس ، والكل قد أغمض عينيه فى نشوة الحب .. »

والعبارة السابقة ليس فيها أى غموض فالمؤلف يريد أن يقول انه هو كل شىء .. كل شىء يراه . وكل شىء يكتبه . وكل شىء يحسه ، وهو فى نفس الوقت مدام بوفارى بكل احساساتها .

ولم يعش فلوبير ليقرأ ما كتبه الشاعر الفريد دى فينى فى « **يوميات شاعر** » ان الكاتب الأسبانى سرفانتس وهو على فراشه سألوه : ومن الذى تقصده بدون كيخوته بطل قصتك الرائعة ؟ فأجاب سرفانتس : لاأقصد أحدا سواى !

وفلوبير كمعظم أدباء فرنسا وفنانيها بعد الثورة الفرنسية من أبناء الطبقة المتوسطة . أى الطبقة التى خرج منها والطبقة التى يلغيها عادة .

وهو من ابناء نورماندیا مثل مالرب وكورنى وموباسان وجين ..

وفلوبير يدين بالكثير لابناء عصره ايضا .

وقد ولد فلوبير فى أوقات متقاربة جدا مع بودلير ورينان وجونكور ، ومع الفنانين شاسريو وكوربيه يمريون وجونو وسيزار فرانك ..

وكل هؤلاء قد تأثروا بالحركة الرومانسية التى سبقت مولدهم بربع قرن ..

وكل هؤلاء كان أقل عظمة من العمالقة الكبار الذين سبقوهم من مثل : بلزاك وهيجو وميشليه وبرليوز ودلكروا ..

ولكنهم جميعا كانوا ساخطين على دنياهم ، حالمين بعوالم جديدة غريبة مثيرة وراء النهر .. أو على الشاطىء الآخر من أوروبا .

واذا كان الرومانسيون قد حرصوا على ان يستغرقهم العالم الخارجى لكى يغيروه ويبدلوه ، فان فلوبير والشاعر بودلير وغيرهما ، قد استغرقتهم

المشاكل النفسية .. فهم انطووا على كتبهم ، وراحوا يراقبون المجتمع والناس من الداخل ، تماما كما فعلت مدام بوفارى .. ولم يفلح فلوبير ابدا ان يفلت من روح التشاؤم الذى كان يسود العصر . وقصة « مدام بوفارى » لا شك متشائمة ، مثل كثير من القصص التى ظهرت فى العالم حوله ، وفى نفس الوقت عند ادباء كبار من مثل هوثورن وملفيل وترجنيف وفيما بعد عند زولا وهاردى .

ويبدو أن قصة « **مدام بوفارى** » قد اتخذت دلالة جديدة ابتداء من القرن العشرين .. لقد وجد النقاد ان فلوبير ما يزال عملاقا . وان قصته هذه من الممكن ان نجد ابطالها فى كل مكان .. وان نجد مدام بوفارى بالذات فى الترام وفى الاتوبيس وفى السينما ، على الشاشة ، وبين المتفرجين ، وانها ليست قصة فتاة واحدة ، ولكن قصة كثير جدا من الفتيات ايضا .

الكاتب الفرنسى « **اندريه موروا** » يرى ان مدام بوفارى هذه لا بد ان يكون قد صادفها فى حياته . ليس من أول حياته ، ولكن أخيرا جدا . ولا بد ان الفتاة التى غمزت له فى احدى المكتبات ، رغم شعره الابيض وشيخوخته الواضحة ، لا بد ان تكون هذه الفتاة هى « الطبعة الجديدة المنقحة » لمدام بوفارى ..

والكاتب العظيم « مارسيل بروست » وصف فلوبير بانه قد اعتنى بالاسلوب اكثر من اى شىء آخر ..

الكاتب العظيم « آندريه مالدو » وصفه بانه كاتب انعزالى انفصالى وانه رفض أن يلتزم لمشاكل عصره وانه وضع كل أبطاله فى الوحل بدلا من أن يتسامى بهم عن طريقة الرجولة المتاخية ..

والشاعر « فاليرى » كان يسخر من انكار فلوبير ومن قصد القديس انطون ذلك الراهب الهارب .. وكان يسخر من فلوبير نفسه الذى لايعدو ان يكون صورة اخرى من القديس انطون الذى اقفل الابواب على نفسه واغرق نفسه فى قراءة كتب لا اول لها ولا آخر استعداد لخلق شخصيات هزيلة منحطة مثل مدام بوفارى ..

ولكن يبدو ان هذه الموجة قد اخفت موجة اخرى ترى فى فلوبير رائدا « عظيما » لاسلوب جديد فى الكتابة ومنهج فى الفهم .

فبعد ان اغرقت فرنسا موجة دستويفسكى فى عشرينات هذا القرن ، وموجة بلزاك فى اربعينات هذا القرن ، ظهرت موجة واقعية جديدة فتحمس لفلوبير ، ولقصة مدام بوفارى بالذات .

فقد كتب آلن تيت فى مجلة « سوانيه ريفيو » يقول : لقد ابتدع فلوبير الرواية الحديثة » .

وقال أيضا : ان كافكا وجويس يدينان ولا شك لفلوبير بكل شىء . بل اننى أرى بصماته على كل صفحة من كتب هذين العملاقين .. وفلوبير هو الذى غير ملامح القصة الطويلة الى الأبد .

أما أرنست همنجواى الكاتب الامريكى فكان اذا مر فى حدائق لوكسمبوج فى باريس ورأى التمثال النصفى لفلوبير . رفع قبعته قائلا : انه رجل نحبه جميعا .. لأنه هز أعماقنا .

وفى ١٢ ابريل سنة ١٩٥٧ نشر الملحق الأدبى لصحيفة التيمس مقالا عن مؤلف مدام بوفارى بمناسبة مرور مائة سنة على ظهورها جاء فيه : انه أعظم من كتب القصة الطويلة .. انه خالق القصة الحديثة ، التى هى ينبوع كل تقدم هام منذ منتصف القرن الماضى » .

ويقول « **سومرست موم** » فى كتابه « الروائيون العظام والرواية الجديدة » : لا أقول انه عبقرى ، وانما أقول انه انسان غير عادى وانسان موهوب . والشىء المؤكد الذى لا شك فيه هو أن فلوبير قد خلق ، مباشرة أو بشكل غير مباشر ، الرواية الواقعية ، وانه أثر فى كل مؤلفيها منذ صدرت مدام بوفارى . فهو الذى أثرفى «توماس مان» عندما أصدر قصة بودنبروك ، وأثر فى أرنولد بنيت عندما كتب « قصة الزوجات العجوزات » وأثر فى تيودور دريزر عندما كتب « الأخت كارى » .. وأثر فى عدد كبير جدا من المؤلفين منذ ذلك اليوم .. ولم يحدث أن كاتبا قد وهب نفسه وبهذه الصورة العنيفة لصناعة الأدب .. ولم يكن يتصور فلوبير أن معنى الحياة هى أن يعيش الانسان . وانما معنى الحياة هو أن يكتب . ولم يحدث أن راهبا فى صومعته ، قد ضن عن طيب خاطر بحياته ولذاته الحيوية من أجل محبة الله ، كما فعل فلوبير بقوة وعنف من أجل أن يخلق عملا أدبيا باقيا .. »

ويقول « **موم** » : ان فلوبير كان من المؤمنين بالعبارة المعروفة التى تقول : لكى تكتب جيدا يجب أن تحس جيدا وأن تفكر جيدا ، وأن تقول جيدا وقد فعل فلوبير هذا كله ، وباصرار لانظير له فى الأدب العالمى ! » .

وآراء كثيرة ترددت في كتب تاريخ الأدب وكتب النقد الأدبي في خلال مائة عام · وكلما ظهر منهج جديد استخدمه المؤرخون والنقاد في اعادة تقديم الآثار الأدبية للقرون الماضية · وتكون قصة « مدام بوفاری » ضمن أو في مقدمة القصص التي يتناولها النقاد والعبارات التي تقلها على ألسنة النقاد والأدباء تتناول حياة فلوبير ، وتتناول أسلوبه في الكتابة ، وتتناول قصة مدام بوفاری ·

وبعض النقاد يقف عند حد الكلام عن « الآلة الانسانية » - أى الفنان - التي صنعت قصة مدام بوفاری نفسها · لأن الأعمال الأدبية انما نفهمها عن طريق أصحابها ، وفلوبير نفسه يقول : انه هو كل مخلوقاته ·· ويقول أيضا : ان الفنان يجب أن يحاكي الله ، لكن الله موجود في كل شيء ، ولا يبدو لأحد كذلك الفنان يجب أن يكون وراء وفي كل مخلوقاته ، ولكن دون أن يراه أحد ·

وعيب هذه النظرة الى العمل الادبي ، أنها تعزل الفنان عن الدنيا ، وتراه وحده فقط ، فهو الذى كتب وهو الذى عاش وقاسى ولذلك يجب أن يوجه الاهتمام اليه · ومعنى ذلك أن العمل الأدبي نفهمه من خلال الفنان ··

ولا أحد معزول عن عالمه أو بيئته ··

وهناك نقاد يرون أن الفنان هو العمل الأدبي نفسه · فالفنان يساوى ما كتبت يداه ، فقد قال كل ما يريد ولم يقل ما يريد فنحن يجب أن نأخذه بقلمه · والانسان لا يساوى الا ما يفعله · ولذلك فقصة مدام بوفاری هي قصة حياة المؤلف · ومدام بوفاری هي المؤلف نفسه ·· واذا كانت مدام بوفاری فيها رجولة صارخة فهو تعويض عن الأنوثة الموجودة في المؤلف ·

لقد كان فلوبير واضح الأنوثة ، وكان يعرض هذه الأنوثة بمظهر غليظ بشوارب غليظة وصوت غليظ، ولكن هذا المظهر لم يخف على الأطباء عندما ترددوا على بيته لعلاجه لقد صارحه أحد الأطباء بقوله : انك كعجوز شمطاء ··

وقد ردد فلوبير نفسه هذه العبارة ··

ومدام بوفاری تصور حياة فلوبير ذلك الانسان الغارق في الكتب المنعزل عن الناس وعن الحياة تماما ·

ومأساة مدام بوفاری هي أنها امرأة حالمة قررت شيئا خطيرا هو أن تفرض أحلامها على الواقع ·· أو بعبارة أخرى : انها امرأة ظلت تحلم وتحلم حتى أصبحت عاجزة عن أن تصحو · فهي تعيش حالمة ، وكما عاشت حالمة ماتت أيضا حالمة ·· انها تشبه انسانا استبد به حلم ، وكان الحلم طويلا وجميلا ، فلما صحا من نومه ، أصر على أن يستأنف الحلم من جديد ·· فعاد الى فراشه وأغمض عينيه بالقوة لكى يرى نفس الحلم ··

لقد حاولت مدام بوفاری أن تعيش أحلامها ، أن تعيش بطولات القصص التي قرأتها ·· ولم تفلح ·· وطبيعي ألا تفلح ·· وكان لا بد أن تموت ··

وهناك نقاد يقفون عند النص الأدبي فقط ·· وأقول النص ولا أقول « العمل » الأدبي ·· لأن العمل الأدبي هو النص الأدبي ، وظروف المؤلف عند كتابته وحياة المؤلف ، والأحداث التي تأثر بها المؤلف وهو يكتب هذا النص ·

أما النص الأدبي فهو مجرد الجوانب الفنية والبلاغية والشكل والمضمون والتشخيص والتحليل والسيال الداخلي للقصة وللأحداث ، والنهاية والبداية ·· وقمة الأحداث ، وعقدها وتناسب أجزائها ، وتناسب أشخاصها ومكان المؤلف من هذا كله ··

فالنص الأدبي هو ما جاء في الكتاب ··

ولكن النص الأدبي ليس هو العمل « الأدبي » ·· وانما العمل الأدبي وقد حذفنا منه عنصر التاريخ ·· تاريخ التجربة الحية للمؤلف ولتجارب المؤلف أيضا ··

فالنص ليس دليلا ماديا على أن هذا المؤلف قد عاش وألف شيئا · فالنص الادبي هو وثيقة خطية ·· هو بصمات المؤلف ·· هو شهادة ميلاد ·· النص الادبي هو « مستند تاريخي » بأن جوستاف فلوبير قد عاش في زمن معين ، وكتب هذه التجربة المعينة ، وأن وجودها دليل على وجوده ·

ولكن ليس معنى ذلك أن النص لا قيمة له طبعا هذا سخف · فلا أدب بغير معنى ·· ولكن عيب هذه النظرة أنها تتناول فقط جانبا واحدا ، على الرغم من أنه جانب هام ·· فهو هام ·· ولكن في نفس الوقت هو جانب واحد ·· وهذا هو عيب هذه النظرة الجزئية ··

وهناك نقاد ينظرون الى قصة « **مدام بوفاری** » نفسها باعتبارها كائنا منفصلا عن المؤلف.. فهم يطلقون على سلوكها النفسي والاجتماعي اسم المذهب البوفاری

•• أو البوفارية •• ويرون أن مدام بوفاري هي نموذج لنوع من السلوك الهجرى •• أو أنها شخصية هاربة ، فهى تهرب من الحياة ، أو تهرب من الحب بالحياة ، فهى تحب وتستغرق فى الحب لكى تهرب من مواجهة الواقع •• وتستأنف أحلامها الأدبية •• أو هى تعربد فى الحياة الأدبية كما تراها لأنها مصدومة فى حياتها وفى عشقها ، وهى لم تجد الحب الذى تريد ، فهى لأنها لم تجد ما تحب •• تحاول أن تحب ما تجده •

والنقاد يتحدثون عن شخصية « **مدام بوفارى** » كأنها سيدة مدحورة بالفعل وكأنها هى التى أملت اعترافاتها على المؤلف •• والمؤلف لم يضف الى كلامها حرفا واحدا •

وهذه النظرة التعيسة الانعزالية الى هذا العمل الأدبى ، تسعد المؤلف ولا شك •

فهو يرى أن أبطاله لهم وجود حقيقى • وان وجودهم أقوى من وجوده ، وهذه تحية مباشرة الى قدرته على الخلق والابداع •

وكثيرا ما أحس المؤلفون بان ابطالهم اقوياء ، وأنهم حقيقة وأنهم يضطهدون المؤلفين – اى يضطهدون خالقيهم •

والشاعر الالمانى شيلر فى قصة « الحب والدسيسة » يقول : ان أعظم تحية يمكنك ان توجهها الى الله أن تنشغل بمخلوقاته عنه •• اى تنشغل عنه به •• اى تنشغل بالعمل الأدبى عن الفنان نفسه •

ولكن هذا الانشغال بمخلوقات الفنان ونسيان الفنان نفسه ، ليس الا نوعا من الوقوف الى جوار الفنان أو وراءه والتطلع الى نفس الشىء ، ولكن الناقد يجب أن يرى أشياء اخرى لم يرها الفنان •• يجب أن يتساءل لماذا اختار الفنان هذه الشخصية ، وما هى مقدمات ظهورها • ويجب ان يحاسب الفنان بما قال وبما لم يقل • وخصوصا بما لم يقل •• بما اخفى عنا وعن نفسه •• وربما كانت العبارة الوحيدة التى تلفت الأنظار هى التى قالها مالرو عن فلوبير فهو يتهمه بأنه قد وضع أبطاله فى الداخل ، وكان فى استطاعته ان يقسهم •• ان يطهرهم •• أن يسمو بهم أن يجد لهم حلا » •

وهذه نظرة أخلاقية اجتماعية •

اى أن الفنان كما يقول الشاعر « اليوت » : ان عظمة الأدب لا يمكن أن تتحدد فقط بالمقاييس الأدبية ، على الرغم من أننا يجب أن ندرك انه سواء كانت الأعمال ادبية او غير ادبية فلابد من تقييمها وفقا للمقاييس الادبية ايضا • اى لا بد ان تكون هناك مقاييس ادبية لوزن العمل الأدبى ، وفى نفس الوقت لا بد ان تكون هناك مقاييس أخلاقية ايضا.. ولكن لا بد ان يكون هناك هذا العمل الذى نناقشه عملا ادبيا ••

ويقول اليوت ايضا : وليس معنى ذلك ان العمل الأدبى سيتم تقييمه ، وقد تم تقييمه وفقا لقواعد أخلاقية • ولكن الأحكام الأخلاقية على الأعمال الأدبية لا تصدرها الا وفقا للقانون الأخلاقى الذى يقره جيل من الأجيال سواء كان يطبق هذا القانون او لا يطبقه •

ويقول اليوت ايضا : ان النقد الأدبى يجب ان يكمله نقد يستند الى وجهة نظر أخلاقية أو دينية •• وقصة مدام بوفارى يجب أن تتناولها أيضا على هذا الأساس • تطبق عليها الاحكام الأدبية ، وفى نفس الوقت تطبق عليها قوانين العصر •• قوانين عصرها الأخلاقية والدينية •• ولكن لايغيب عن البال أبدا أن نضعها فى الميزان الأدبى •

واشارة الفيلسوف مالرو هذه تعيب على فلوبير انه اكتفى بان رفع شعار الأدب للأدب ، او الفن للفن ، دون أن يهتم بالنتائج الاجتماعية والأخلاقية لهذا العمل •

ومن رأى **مالرو** طبعا ان الفنان يجب الا يتعزل، وانما يجب ان يرتبط •• ان يلتزم •• فليس مهمة الفنان أن يكتب ما يعجبه شخصيا ،وان كان الفنان لا يكتب الا ما يعجبه وما يمتعه •• ولكن لا بد ان يكون اهتمام الناس ومتاعب الناس ومشاكل الناس مما يهمه ، ولابد أن تكون اهتمامات الناس مما يعجبه •

ولم يحدث أن تلقى فلوبير نقدا عميقا فى كل العصور كما حدث فى السنوات الأخيرة •

فقد اتخذه الفيلسوف الوجودى «سارتر» نموذجا لأديب لا يلتزم ، وقد تناوله سارتر فى أكثر من مقال ، ثم عاد وتناوله بالتشريح والتجريح فى كتابه « نقد العقل الديالكتيكى » •

وكما اشرت من قبل فسارتر هو الذى اختار فلوبير ، وفلوبير هو الذى اختار مدام بوفارى ، وانا الذى اخترت وارتضيت بنهج سارتر الوجودى فى دراسة هذا الرجل وأعماله الأدبية •

« أنيس منصور »

نيكولاي جوجول

للدكتور رشاد رشدي

احن هذه الايام الى صديق من اصدقاء الصبا هو الكاتب الروسى « نيكولاى جوجول » ، كنت اجد فيه الكثير من المتعة لانه كان يصور الكثير مما اعانيه ، وما اراه حولى ، وترجع كتاباته اصداء كثيرة من الحياة والادب ، وكنت اقراه بنهم فى هذه الايام البعيدة .. احس به اكثر مما ادركه بعقلى .. لان الذى بينى وبينه كان حبا اكثر من رغبة فى الدراسة ، ولذلك لم اجد ما افعله فى هذه الايام بالنسبة لهذا الروح الصديق سوى ان انقل بعض ماكتب الى لغتنا العربية ، فمصرت مسرحيته (الزواج) تحت اسم (شروع فى جواز) ، وكنت حينذاك طالبا بالجامعة ، ومثلت فى الاذاعة عدة مرات فى فترات متفاوته ، ثم اخذتها فرقة الطليعة ضمن ما اخذت ، وتنقلت بها بين مختلف المسارح ومختلف البلاد العربية ، وبعد ذلك ترجمت مسرحيته الكبرى « المفتش العام » وقدمتها ايضا فرقة الطليعة مرات عديدة . واذكر انى وانا طالب بالجامعة وفدت الى مصر فرقة « الدبلن جيت » وهى احدى الفرق المسرحية التى قامت على اكتافها النهضة المسرحية فى اوربا فى هذا القرن ، فاردنا ان نحييها فقدمنا لها فصلا من مسرحية جوجول الزواج بالانجليزيه وفصلا من ترجمتى لها بالعربية ، وقمت فى الاثنين بتمثيل بعض الادوار ..

هذه بعض ذكرياتى عن الكاتب الكبير جوجول الذى كنت احبه بحسى اكثر مما ادركه بعقلى .. ومرت الايام وجوجول - مثل تشيكوف - قريب الى قلبى ، بل ويزداد قربا يوما بعد يوم ، وكذلك يزداد عقلى ادراكا له .. وكثيرا ما كنت اتذكر عبارة تشيكوف الخالدة « اننا جميعا قد خرجنا من عباءة جوجول » ولكنى لم اكن ادرك نحواها ادراكا كاملا .. والعباءة قصة قصيرة من قصص جوجول .

وتشيكوف يعنى انه وزملاءه من الكتاب الروس قد نهجوا على نهج جوجول فى كتاباتهم القصصية التى استغرقت الجزء الاكبر من القرن التاسع عشر والتى اثرت فى الادب العالمى تاثيرا مازلنا نحس به للآن .. ولكن المعنى الاوسع لعبارة تشيكوف قد اضافه التاريخ او حققه .. فسمات الفن القصصى الحديث سواء فى المسرح او فى القصة هى فى الواقع امتداد لسمات فن جوجول .. الذى شهده العالم فى النصف الاول من القرن الماضى .. ومن هذه السمات الكوميديا القاتمة ، التراجى كوميدى ، أو الضحك خلال الدموع .. والاهتمام بالشخصيات وتصويرها حتى على حساب الحبكة القصصية او المسرحية ، وكذلك الاهتمام بتصوير الشخص العادى واحداث الحياة العادية التى تبدو للعين المجردة تافهة لا معنى لها .. وربط الادب بالحياة مما يجعل الادب قوة اخلاقية واجتماعية فعالة .. وكل هذا من دعائم اركان الواقعية كما يعرفها الأدب منذ جوجول للآن .. واهم من هذا كله سمة تميز بها جوجول ويتميز بها الادب الحديث ، وهى سمة العطف على جميع الشخوص التى يعالجها الكاتب فلا وجود للشر المطلق ولا للخير المطلق لأن ادراك الكاتب للانسانية وتعاطفه معها يمنعه من ان يدين أو أن يبرىء .. لأن الحقيقة فى الواقع دائما نسبية ... « نيكولاى جوجول » ولد فى اوكرانيا فى عام ١٨٠٩ وهو ينتمى الى القوازق ، واشتغل مدرسا ولكنه لم يفلح واستاذا للتاريخ فى الجامعة ولكنه ايضا لم يفلح .

وحاول أن يحترف التمثيل ولكنه فشل ونشر بعض الاشعار فى الصحف ، ولكنها لم تجد استجابة، ثم نشر بعض القصص وتعرف الى الشاعر بوشكين الذى نصحه بأن يكرس حياته للادب .

ونشر اول مجموعة قصصية بعنوان « آمسيا فى مزرعة قرب دنكانكا » فى عام ١٨٣٢ ، ولاقت نجاحا كبيرا . وهى قصص قصيرة يرويها نحال .. وفيها يظهر فن جوجول الذى يتركز حول الفانتازى وما وراء الطبيعة ، والى جانب هذا روح الدعابة

الساخرة ، وهو يذكرنا فى هذه المجموعة بهوفمان وادجار الان بو .. ويعتقد بعض النقاد أن الدعابة الصاخبة التى تميز هذه المجموعة القصصية انما ترجع الى ان جوجول كان يجد فى الفكاهة ملجأ من تعاسة الحياة ودواء يعالج به نفسه العليلة .. ويؤيد هذا الرأى جوجول نفسه ، اذ كتب يقول عن هذه القصص « السبب فى الفكاهة الصاخبة فى هذه القصص كان حاجة داخلية فى نفسى .. فقد أصبحت ضحية لنوبات من الكآبة لا افهم لها سببا .. ولكى أتخلص منها ابتكرت شخصيات فكهة ومواقف فكهة الى ابعد حدود الفكاهة .. » .

وفى عام ١٨٣٥ نشر جوجول مجموعته القصصية الثانية باسم « ميرجورود » وتتألف من اربع قصص منها قصة اتاراس بولبا « المشهورة وقصة « فيى » .. وكلاهما تعالج أساطير قوزاقية اما على النطاق الواقعى أو على النطاق اللاوقعى .. وفى هذه المجموعة نلمح لاول مرة سمة رئيسية من سمات فن جوجول وهى « الضحك خلال الدموع » فى قصته المعروفة باسم « كيف تشاجر ايفان مع ايفان » ، وهى تصور صديقين حميمين تشاجرا وبدآ سلسلة من المشاحنات والقضايا والاتهامات تنتهى بهما الى الخراب ، وتنتهى القصة بهذا الوصف » ومرة أخرى نفس الحقول ، سوداء فى مواضع الحرث . تميل الى الاخضرار فى مواضع أخرى ، أشجار يكسوها البلل .. مطر لا ينقطع .. سماء تبكى .. لا اثر فيها لومضة ضوء .. مكان كئيف هذه الدنيا ياسادة ! » .

ويلازم هذا الوصف للدنيا كل كتابات جوجول بعد ذلك . وهو يحاول أن يهرب من الكآبة او على الأقل أن يقتعها بسيل من الضحك والفكاهة . وهنا يدخل جوجول المرحلة الواقعية فى حياته التى يعبر عنها فى وضوح فى مجموعة من القصص نشرها عام ١٨٣٦ تحت اسم (أرابسكات) ثم فى قصة «أنف» التى كتبها حوالى ذلك الوقت وقصته المعروفة المعطف أو العباءة التى نشرها بعد ذلك بحوالى اربع او خمس سنوات .. وهى تصور موظفا بائسا، باشكاتب ، يعيش طول عمره يشتهى معطفا ثم يحصل عليه ولكنه يسرق منه ، ويموت نتيجة لذلك وتحوم روحه فى شوارع بطرسبرج حائرة ، تعيسة كما كانت فى الحياة ..

والقصة تصور المظالم التى يتعرض لها البسطاء والضعفاء فى المجتمع ، وبها شخصيات كوميدية بائسة وبها الكثير من التراجيديا .. وفى هذه القصة يقدم جوجول الى الأدب الروسى بل والعالمى كثيرا من الموضوعات ومن السمات التى أصبحت فيما بعد من مميزات الأدب الحديث ، ومن هذه القلق النفسى الذى لا حدود له والظلم الاجتماعى .. والاهتمام بالرجل العادى ، بل والاقل من العادى ..

وفى عام ١٨٣٦ كتب جوجول مسرحيته المشهورة « المفتش العام » وقصة المسرحية ــ مثل أكثر اعمال جوجول ــ مأخوذة من الحياة مباشرة ، فقد حكاها له الشاعر بوشكين .. وكان امل جوجول دائما أن يكتب للمسرح ، فقد كان يعتقد ان المسرح هو أحسن الوسائل للاتصال بالجماهير ، وقد كتب يقول : « تصور ان مجموعة من الناس ألف أوعدة آلاف يختلفون طبعا عن بعض ، ومع ذلك عندما يجلسون فى المسرح يضحكون معا ويبكون معا ويصفقون معا .. ماذا يمكن ان يكون أوقع واجمل من هذا ؟ .. ان المسرح منبر فعال » .

وقد قرأ جوجول مسرحية المفتش العام فى حفل ادبى فى بيت احد اصدقائه وكان بوشكين بين الحاضرين وسر بها كثيرا ،ولكن الرقيب لم يصرح بها لجرأتها . وتوسط لجوجول احد اصدقائه لدى القيصر فسمح له بقراءتها عليه فى البلاط الملكى ، وسر بها القيصر كثيرا وسمح بتمثيلها « وعرضت فى بطرسبرج فى ١٩ ابريل سنة ١٨٣٦ . وكانت المسرحية جديدة على الجمهور ، حتى انه نسى أن يصفق » .

وبعد نزول الستار ابتدا الخلاف .. فبدأ المحافظون يهاجمونها على أنها خطرة وأنها تمارس سخيفة بينما أخذ يدافع عنها الاحرار ، وتناقلت الصحافة الخلاف ووسعته .

وذهل جوجول للهجوم الذى شنه عليه كثيرون من النقاد والناس ، وتألم فلم يكن يتوقع شيئا من هذا ، كان هدفه كما قال : « أن يجمع كل ماهو ردىء فى روسيا ويضحك منه ، ولذلك لم يكن يفهم سر غضب الكثيرين من الناس . وكتب يقول : « الكل ضدى ــ افراد وجماعات بأسرها ــ التجار والموظفون حتى البوليس .. لقد كنت فى أعمالى

السابقة اضحك ، ولكن بدون هدف ـ بدون فائدة ـ وبدون معنى .. ولكن مادمنا نضحك فلم لانضحك مما يستحق الضحك منا جميعا .. ولذلك ففى « المفتش العام » جمعت كل ماهو مضحك فى روسيا ، لأنه مبكى ، وقررت أن أضحك منه ويضحك معى الناس جميعا » .

واثر الهجوم فى صحة جوجول وكانت دائما ضعيفة . وكتب عدة مقالات يدافع عن نفسه ويشرح فلسفته فى المسرحية ، ولكن هذا كله لم يجد نفعا .. فاضطر الى ان يغادر روسيا ، واستقر فى روما الى عام ١٨٤٨ حيث كتب مسرحيتين قصيرتين هما : (زواج) و (المقامرون)

ومهد جوجول للمفتش العام بمثل روسى يقول : لا تؤنب المراة اذا كان وجهك قبيحا .. والمسرحية تصور فساد البيروقراطية والجهل والتفاهة والفظاظة التى كانت تلج فيها الحياة الروسية فى ذلك الوقت ، وخاصة فى الاقاليم .. والشخصيات رغم غرابتها تنبع كلها من الحياة .. الشخصية الرئيسية « هستاكوف » شخصية شاب تافه كذاب بطبعه ، متقلب ، عابث ، شرير ولكنه لا يقصد الشر وهو كما يقول احد النقاد « من أروع الكذابين فى الادب العالمى » وكما يصفه جوجول فى المسرحية « يتكلم ويتصرف بدون تفكير ، لا يقدر على التفكير او تركيز انتباهه فى شىء اكثر من لحظات قليلة .. وكان جوجول يعتقد ان كل الناس هستاكوف ولو لفترات قليلة ، بل انه من الصعب الا يتحول الانسان الى هستاكوف ولو مرة واحدة فى حياته .

وقد اقترن اسم هستاكوف سنين طويلة بعد موت جوجول بالرغبة فى الكذب والتفاهة والعبث ، وكما أن هستاكوف تافه متقلب عابث ، عديم الاحساس بالمسئولية ، كذلك كان الجمهور الذى يتفرج على المسرحية فى راى جوجول ، وعندما تنكشف الحيلة فى آخر المسرحية ويبدأ الجمهور يضحك ساخرا من العمدة ، يلتفت العمدة الى الجمهور ويقول حانقا : « مم تضحكون ! .. انكم تضحكون من انفسكم » .

وروسيا التى يضحك منها جوجول فى المفتش العام هى التى كان يعرفها جيدا ، والتى كان يعرفها كل روسى فى ذلك الوقت ، ولا يجرؤ على الاعتراف بانه يعرفها .

والمسرحية تنتمى الى المدرسة الطبيعية « وهى تمثل الواقعية النقدية فى اول صورها ، حتى انه عندما كان النقاد يتحدثون عن المدرسة الروسية فى المسرح كانوا يعنون واقعية المفتش العام النقدية»

وبناء المسرحية محكم للغاية ، فحكاية صغيرة تتحول الى صورة اجتماعية كبيرة ، وكل حوار ينبع من الشخصية ، ولذلك فكل ما فيها مقنع وحتمى . وقد اعترض معاصرو جوجول على نهاية المسرحية ، فالشر لا يعاقب ـ والشر هنا يعنى هستاكوف ـ النصاب . ولكن الحقيقة ان الشر فى المجتمع نفسه الذى سخر منه هستاكوف النصاب الممثل التافه .. ومازالت المفتش العام للآن من المسرحيات المحبوبة ، لا فى روسيا وحدها، بل فى كل بلاد العالم ..

وفى روما ايضا فى حوالى عام ١٨٤٢ كتب جوجول روايته المشهورة « أرواح ميتة » ، وهى تصور أحد المزارعين يتاجر بارواح فلاحين ماتوا ، والقصة كلها سخرية لاذعة من التفاهة والفظاظة التى كان يراها جوجول جزءا لا يتجزأ من الحياة ، وقد وصلنا منها الجزء الاول فقط ، اما الجزء الباقى ، فقد دمره جوجول نفسه عندما وقع فى اواخر حياته تحت تأثير قس روسى جاهل ، اسمه « كونستانتينو فسكى » ففى ليلة ١١ فبراير عام ١٨٥٢ صلى جوجول بمرارة ، ثم نادى خادمه الصليب فى كل حجرة يدخلها ، ثم أخرج الجزء واخذ يتجول فى حجرات منزله وهى يرسم علامة من قصة ارواح ميتة فرماه فى المدفأة ، واشعل النار فيها .. وعندما احتج الخادم قال له جوجول: ليس هذا من شأنى .. صل معى ، وبعد أن احترقت الرواية ، رسم جوجول علامة الصليب على نفسه وقبل خادمه ، ومضى الى حجرة نومه ، ورقد على سريره واخذ يبكى .. وبعد ايام قليلة .. فى يوم ٢١ فبراير مات ، ومشى فى جنازته عدد كبير من الناس ، وسالت احدى النساء :

« من الذى مات ! هل كل هؤلاء الناس أقاربه ؟»

واجابها أحد الحاضرين : « اسمه جوجول » وكل الروس أقاربه .

« د. رشاد رشدى »

الكلمة المعجزة

بقلم : عبد الكريم الخطيب

يتفرد القرآن الكريم من بين الرسالات السماوية بأمرين بارزين :

اولهما : انه يحمل معجزة الرسالة الاسلامية فى كيانه ، وان معجزته هى «الكلمة» التى يعرف الناس مدلولها ، ويأخذون ويعطون بمفهومها ، وان الاعجاز سر مضمر فيها ، تتهدى اليه العقول ، وتتعرف عليه البصائر .. وليس في المعجزات التى سلفت ماجاء على هذه الصفة ، اذ كانت كلها معجزات حسية يراها الناس راى العين ، فى صور من الاحداث الكونية ، التى لاتقع في قدرة البشر ، ولاتجيء الا بدعوة نبى او رسول .. متحديا بها ، او مستجيبا لدعوة تتحداه !

وثانيهما : ان القرآن الكريم قد تولى بهذه «الكلمة» الدفاع عن دعوته ، واقامة الحجة لها ، وانه بهذه الكلمة قد اشتبك فى حرب طاحنة مع اعداء الدعوة والمتربصين بها ، وانه اقام من تلك الكلمة سيوفا مصلتة ، ورماحا مشرعة ، وسهاما مرسلة ، تضرب فتقطع ، وتطعن فتفرى ، وترمى فتبيد وتبير :

وقبل القرآن لم ير الناس الكلمة تلقاهم محاربة مقاتلة ، فتنهزم امامها الجحافل ، وتستسلم لها الشعوب والامم ، وتسجد بين يديها الجبابرة والفراعنة .

نعم ، ماراى الناس قبل القرآن «الكلمة» تجلى الناس عن عقائدهم الموروثة ، وتخرجهم عن عاداتهم المألوفة ، ثم تقودهم الى حيث تشاء فينقادون وتدعوهم الى حيث تشير فيستجيبون

والحقيقة التى لاجدال فيها هى ان «الكلمة» القرآنية قد اخذت من فم العرب ، وصيغت صياغة جارية على الاسلوب العربى ، فلم يخرج بها القرآن عن مدلولها الذى يعرفه لها اهلها ، ولم يغير شيئا من وجوه اعرابها ، على ماجرى عليه اللسان العربى في شعره ونثره .. ولهذا لم ينكر العرب شيئا من القرآن من هذا الوجه ، ولم يروا فيه الا انه كلام عربى مبين ، وان عجزوا عن مساماته ، وقصروا عن اللحاق به .. فقالوا فيه ماقالوا من مقولات تكشف عن بهرهم به ، ودهشهم منه ، فمن قولهم ماحكاه القرآن عنهم : «ان هذا الا سحر يؤثر .. ان هذا الا قول البشر» وقولهم «لو نشاء لقلنا مثل هذا» .. واذ هم يرون في القرآن مايعرفون من وجوه محاوراتهم ، ومخاطباتهم ، ومجادلاتهم ، يخيل اليهم انهم قادرون على ان يقولوا مثل قوله . ولكنهم لم يقولوا ، ولن يقولوا .. وقد تحداهم القرآن ، وآذنهم بقطع الخلاف بينهم وبينه ان هم جاءوا بسورة من مثله ، ولو انهم فعلوا لما تعرضوا لهذا الذى تعرضوا له فيما بعد ، من ازهاق أرواح ، وايراقة دماء ، واستباحة ديار ، وقطع أرحام .

فماذا في كلمات القرآن هذه من قوى قاهرة ، تأخذ على الناس كل سبيل للافلات من بين يديها الا ان يذعنوا لها ، ويسلموا وجودهم اليها ؟

ولا يعنينا هنا الجواب على هـذا السؤال .. وحسبنا ان التاريخ قد سجل على الامة العربية عجزها عن مواجهة التحدى الذى دعاها القرآن اليه ، فلم يقم من شعرائها او خطبائها من يرد على القرآن دعوته تلك المتحدية ، ولم يأتمر الخطباء والشعراء فيما بينهم على ان يظاهر بعضهم بعضا فى لقاء القرآن والوقوف له ـ حسبنا هذا شاهدا قائما يشهد للكلمة القرآنية بالاعجاز المتحدى ابد الدهر .

ولكن الذى يعنينا هنا هو هذه الصلة التى بين الكلمة العربية ، والكلمة القرآنية ، تلك الصلة التى جعلت الدين الاسلامى واللغة العربية كيانا واحدا بحيث لو وقع اى ضيم على احدهما اخذ الآخر نصيبه منه ، واقتسمه معه ، والعكس صحيح كذلك .

والسؤال هو : على اى اساس اختيرت الكلمة العربية لتكون آية من آيات الله ، تتجلى فيها معجزة سماوية خالدة ، تكون على فم نبى كريم قرآنا يتلى ، فتستمع اليه الجن ، وتسكن اليه ، وتخشع بين يديه : «استمع نفر من الجن ، فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا ، يهدى الى الرشد ، فآمنا به ، ولن نشرك بربنا احدا» .

فماذا فى الكلمة العربية من اسرار ليس فى غيرها من كلام الناس ، حتى تختارها السماء لهذا الامر العظيم ، الذى لم يقع على تلك الصورة الا مرة واحدة فى هذه الحياة ، هى هذه المرة شهدها الناس فى كتاب الله ، وعلى فم رسول الله ؟

والحق اننا اذ نتلو قوله تعالى : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» ونفتح قلوبنا لكلمات الله هذه نجد أن الرسالة الاسلامية قد تخير لها الله سبحانه وتعالى اعدل وضع واحكمه ، واكرمه ، فى كل مااتصل بها من مكان ، وزمان ، واشخاص ، واحوال .. وانه اذا كان شخص النبى الكريم هو بالمكان الاول من هذا الاصطفاء الالهى .. فان الجزيرة العربية ، واهلها ، ولغةاهلها ، وزمانهم ، واحوالهم كلها واقع فى مجال هذا الاصطفاء ، وبهذا تتم النعمة ، وتقع رحمة الله موقعها فى الحياة ، فيدخل الناس فى دين الله افواجا ، وتنتكس اعلام الضلال وتنطوى معالم الشرك والالحاد !

ولانتحدث هنا عن اهلية الرسول الكريم لهذا الاصطفاء الالهى ، ووقوعه موقعه منه ، كما لانتحدث عن الزمان ولا المكان اللذين اختارهما الله مطلعا للرسالة الاسلامية ، ولا عن الامة العربية وحملها للدعوة الاسلامية وقيامها عليها .. فهذا كله مما تحدث التاريخ به حديثا مبينا متصلا ، لاينقطع ابدا ، ومع هذا الحديث مئات من ملايين البشر تشهد شهادة الاسلام ، وتدين لله الواحد القهار .

والحديث انما يدور حول اللغة العربية ، ومكانها من الدعوة الاسلامية ، وحملها المعجزة التى قدمها الرسول بين يدى دعوته ..

فهل لهذه اللغة نصيب من قوله تعالى : «الله اعلم حيث يجعل رسالته» ؟ وهل ادت الدورالذى يجعلها اهلا لان تكون فيمن اصطفى الله للرسالة الاسلامية ؟ او بمعنى آخر : هل صادفتها الرسالة الاسلامية على الصحة والسلامة بحيث يمكن ان تصنع منها معجزة ، ويكون بها اعجاز ؟

ونقول : ان الذى كان يرصد مجرى الحياة العربية قبل الدعوة الاسلامية ، كان يرى ان اوضح ظاهرة فى الامة العربية ، واقوى قوة عاملة فيها هى «الكلمة» !

«فالكلمة» فى حياة الامة العربية هى تاريخ امة بأسرها .. هى عقلها المدرك المفكر ، وهى قلبها النابض الشاعر ، وهى مشاعرها القوية المتدفقة ، وهى خيالها السابح المنطلق .. هى كل شىء تدور عليه حياتها .. انها تمسك بوجودها كله ، وتستولى على كل حركة او سكون لها .

فما عرفت الحياة امة من الامم كانت «الكلمة» مالكة زمامها ، ومصرفة امرها ، ومنطلق حياتها ، ومسبح آمالها وآلامها . كالامة العربية ، منذ جاهليتها الاولى الى ان طلع فيها الاسلام ، ونزل عليها القرآن !

وماذا كان يكون شأن الامة العربية ، وكيف يكون موقفها فى الحياة لو لم تكن «الكلمة» معها ، وعلى لسانها ، فى هذه المرحلة الطويلة الشاقة عبر تلك الحياة الغليظة الجافة الجافية ؟

ونستطيع ان نقول في غير تردد انه لولا «الكلمة» لما كان للعرب قدرة على احتمال الحياة في الجزيرة العربية ، ولما وجدوا صبرا على الاقامة في هذا الجدب الذى يملأ وجوه الأرض ، ولما قام لهم وجود فيها على تلك الصورة التى جعلت منهم قبائل وعشائر ، ثم جمعتهم اخيرا فى امة واحدة اصبحت كما يصفها القرآن «خير امة اخرجت للناس» .

وقد يبدو هذا الكلام غريبا عند بعض الناس ، حيث يرون ان «الكلمة» ـ ونعنى بها اللغة ـ ليست مقصورة على العرب وحدهم ، بل ان الناس جميعا شركاء لهم فى هذه الظاهرة الطبيعية .. حيث لكل امة لغتها التى تعيش بها ، وتنتقل بها الآراء ، والافكار بين افرادها !

فكيف ينفرد العرب بهذا الوضع الخاص فى تلك الظاهرة العامة ، وكيف يكون للكلمة عندهم شأن غير شأنها حيث تكون على لسان الأمم والشعوب ؟

وهذا اعتراض له وجهه ووجاهته .

ولكن لنا ان نقول : ان ظروف الحياة التى فرضتها الطبيعة على العرب في هذه الصحراء القاحلة ـ المقفرة ، العابسة المكفهرة ـ قد جعلت للكلمة فى افواههم طعما لم يكن لها على اى فم فى اى مكان غير هذا المكان !

فالحياة في هذا الوطن الجديد الكئيب حياة لاتحتملها النفس البشرية الا اذا دخل عليها عنصر جديد من شأنه ان يمد الناس هناك بقوى تشد عزائمهم ، وتربط على قلوبهم ، وتوثق عرى الالف بينهم وبين وجوه هذه الارض المنكرة ، فتتحول دمامتها ـ في ظل هذا الاحساس ـ حسنا مقبولا بعض الشىء ، يمكن ان يعاش به ، ويسكن اليه ، وربما قد يحب ويؤلف .. انه لابد من شىء يتعلق به الناس فى هذا الصراع المرير بينهم وبين الحياة فى هذا المتقطع من الارض ، والا ذهبوا بددا ، او ماتوا حسرة وكمدا .

ولم يكن بين يدى العرب في موطنهم هذا شىء يصلهم بالحياة ، ويجعل بينها وبين عقولهم وقلوبهم ومشاعرهم ، وخيالاتهم طريقا اليها غير «الكلمة» والكلمة وحدها ، دون اية وسيلة اخرى من تلك الوسائل الكثيرة التى تعرفها الامم ، والتى تصل بين الناس وبين الحياة !

في الامم الاخرى ـ غير امة العرب ـ وجد الناس الى جانب الكلمة وسائل كثيرة يصورون بها افكارهم وآراءهم ، ويحشدون بها خواطرهم ومشاعرهم واحلامهم .. فعرفت الامم ـ فيما عرفت من هذه الوسائل ـ « الخط » ، فسجلت به آراءها وافكارها ، وعرضت هذه الافكار والآراء في مجال التعامل بين افرادها ، فتبادلوها فيما بينهم ، واخذوا بها واعطوا ، كما يأخذون ويعطون فى الاسواق التجارية ، فكان لهم من هذا متنفس رحب يتنفسون فيه ، ويعيشون به .. كذلك عرفت الامم ـ غير الامة العربية ـ فيما عرفت ـ النحت ، والتصوير ، والرسم ، والموسيقى ، والرقص ، والتمثيل ، واقامت منها فنونا تخضع لاصول وقواعد ، وشكلت منها صورا ومشاهد تنبض فيها خلجات المشاعر ، وتطل منها وجوه الآمال والآلام ، فيرى الناس كل هذه المجالات مسارح فسيحة ، تتحرك فيها عقولهم ، ويسبح فيها خيالهم ، وتخطر عليها مشاعرهم ونزعاتهم هذا الى جانب ماعندهم من اللغة التى ينظمون من الفاظها وعباراتها ماتستطيع الكلمة حمله من معطيات عقولهم وقلوبهم .

وهذا كله الى جانب ماعند الامم ـ غير العرب ـ من وجوه كثيرة للسعى في الحياة ، والتنافس في وجوه العمل ، والتقلب فى الوان اللذاذات والمتع ، بما تفيض به الارض من خيرات موفورة ، ورزق غدق .

اما الامة العربية ـ فى هذا الوطن الجديب ـ فلاشىء عندها يستجيب لها في يسر ، ويصحبها في المكره والمنشط ، وفي الحل والارتحال ـ الا الكلمة دون غيرها مما تهيأ للامم والشعوب الاخرى ان يصطنعوه ، ويستخدموه ، ويشغلوا به ، من الوان الفنون وشئون الحياة !

ان حياة البادية فى صحراء العرب قد فرضت على العرب ان يعيشوا في فراغ ثقيل موحش ، اذ لامجال للنشاط الانسانى هناك غير تربية الحيوان ، او بمعنى اصدق اقتناؤه ، من غير ان

يتكلف له صاحبه الا حمايته من الحيوانات المفترسة ، او من عدوان المغيرين من صعاليك العرب وفتاكها .. ثم ارساله بعد ذلك هملا يرعى حيث يوجد العشب والكلأ .. وكان امر ذلك موكولا الى الصبيان والنساء والعبيد . اماالرجال ففى فراغ ثقيل يلتمس له اصحابه متنفسا من اى وجه يكون .

ثم ان حياة البادية ، وجفاف جوها ، وتقلب هذا الجو بين السموم المحرق والنسيم العليل فيما بين الضحوات والاصائل ـ هذه الحياة من شأنها ان تبعث فى الانسان حيوية فى الجسم ، ويقظة في المشاعر ، ورقاعة في الحس ، وحدة في الذكاء ، وخفة فى الحركة !

فالعربى في حياته الفارغة المملة مع تلك الحيوية العارمة المتدفقة في كيانه ، ومع حسه المرهف وذكائه المتوقد فى حاجة ملحة الى متنفس تتنفس فيه طاقاته تلك الثائرة الفائرة ، وبغير هذاالمتنفس يحترق هذا الانسان احتراقا داخليا ، لم لايلبث ان يتحول الى رماد .

فكانت الحروب والثارات المتصلة مما فرضت الحياة الصحراوية على الناس هناك ليلتمسوا فى شرها متنفسا لهم ، ومنطلقا للقوى الصارخة فى كيانهم .

على ان هـذا المنطلق لم يكن يتسع للنشاط الانسانى كله فى هذا الوطن ، فهو بغيض كريه الى النفوس ، لا تقبل عليه الا متكرهة له ، وقد تسكن دواعيه واسبابه ، فكان لابد ان يزهد الناس فيه لفترة من حياتهم ، قد تطول وقد تقصر ، فيفيئون الى السلم ، ثم يعودون الى هذا الفراغ البليد .. من جديد !

وهنا يأتى دور « الكلمة » ، فتؤدى رسالتها العظيمة فى هذا المجال .. اذ لا يملك العربى شيئا غيرها ، فلا رسم ، ولا نحت ، ولا تصوير ، ولا تمثيل .. مما تسمح به الحياة المستقرة المطمئنة ، الامر الذى لم يكن ليتاح لأهل البادية وسكان الصحراء .

أليس غير « الكلمة » اذن شيء فى يد العربى يمكن أن يصـــور ما يجول في ضميره من خواطر ونوازع ، وما يختلج فى صدره من آمـــال وآلام ، وليس غير الكلمة شيء يملأ هذا الفراغ ، ويمتص جانبا كبيرا من الحيوية والنشاط الانسانى .

والحاجة كما يقولون تفتق الحيلة !

فهل استطاعت «**الكلمة**» ان تسد هذا الفراغ، وان تفتق الحيلة منها شيئا يجد فيه العربى حاجة العقل والقلب والروح ؟ ونستطيع ان نقول فى توكيد حازم : ان العرب وحدهم من بين سائر الأمم ، قد استطاعوا ان يروضوا « الكلمة » رياضة حكيمة ، وان يصوغوها صياغة عبقرية بحيث تصبح قادرة على انتلقى النشاط الانسانى كله ، وان تمسك به في امانة ودقة ، وان تعرضه في براعة وحذق ، عرضا تتجلى فيه آيات الفنون كلها مجتمعة !فالموسيقى بألوانها وانغامها ومقاماتها قد حواها الشعر العربى في تفاعيله ، وبحوره ، وقوافيه .

والتصوير قد تكفل به البيان العربى فى براعة ولطف ، حيث تبدو الصورة الكلامية في معرض هذا البيان أوضح واجمل من اية صورة أبدعتها يد فنان صناع ، وضع الوانها وظلالها بيد عبقرى حكيم .

والنحت .. قد ضمنته البلاغة العربية،فاقامت من الكلمات شخوصا ماثلة ، بكل مشخصاتها ، واصباغها والوانها . والتمثيل .. له فى الكلمة العربية مكانه ، ومقامه .. فلقد كانت البلاغة العربية ، والبيان العربى مسرحا حيا ، قامت فيه الكلمات والعبارات مقام الشخوص ، تحاور ، وتجادل ، وتغدو وتروح ، واذ انت منها بمشهد من مشاهد التمثيل لأعظم الروايات ، وعلى أعظم المسارح !

ولسنا نقول ذلك متأثرين بعاطفتنا للغة القرآن، وان كانت هذه العاطفة ـ تملأ صدورنا وقلوبنا ، وانما نقوله لانه الحق قبل ان يكون عاطفة ، ولانه الواقع الذى تقوم له الادلة والشواهد الناطقة !

فالشعر الجاهلى الذى ادرك الاسلام او ادركه

الاسلام هو الصورة الكاملة للبيان العربى ، في حدود الطاقة البشرية ، وهو الشهادة القاطعة لما بلغته الكلمة فى اللسان العربى من امتلاكها كل ما يمكن من قدرة على الابانة عن أدق المشاعر الانسانية ، واعمق الاحاسيس ، بما لا تقدر عليه وسائل الابانة كلها مجتمعة .. من لغة ، ورسم ، ونحت ، وتصوير وتمثيل !

ثم ما لنا وللشعر الجاهلى والادب العربى وفنونه كلها ؟

وهذا القرآن الكريم .. المعجزة الخالدة .. معجزة الكلمة العربية .. قد صاغ من اللغة العربية في هذا النظم المعجز ماملك العقول ،واخذ بالألباب ، من فنون القول ، وآيات البيان .. ثم هو لا يبلى له جديد ، ولا يخبو له حسن ، وانما هو ابدا وضيء مشرق ، يملأ العين جمالا وجلالا ، ويعمر القلب محبة ومسرة . .وان الاية منه لتجيء فيمعارض الكلام فترفع خسيسه ،وتغلى رخيصه، وتبدو ابلغ كلام معها كأنه الحصا فى مواجهة درة يتيمة ! فهل تقوم مع هذا دعوى بأن اللغة العربية لغة بادية ، ونبت صحراء ، لا تصلح للحياة العصرية، ولا تسكن الى حياة الحضارة والمدنية ؟ وهل يقال مثل هذا القول فى لغة وسعت كتاب الله ، وحملت معجزة البلاغة والبيان .. ثم لا يدع قائله دعا ، ولا يتهم في عقله وعلمه ان لم يتهم في مروءته ودينه ؟

ليس العيب عيب اللغة العربية ، وانها لغة أعراب ، ونبت صحراء .. وانما هو داء أصاب القلوب والعقول والالسنة ، فلم تحسن التلقى عن هذه اللغة، ولم تتعرف الى شيء من اسرارها، ولم تطعم شهى بيانها ، فكانت هذه الجفوة لها ، وهذا السفه عليها — ومن جهل شيئا عاداه !

ولم تكن اللغة العربية وحدها هى التى ترمى بهذه التهم عند اولئك الجهلاء السفهاء ، وانما **الدين الاسلامى كذلك مأخوذ بهذه التهم جميعها ،** فهو — عند هؤلاء — الرقعاء — دين صحراوى ، لا يصلح عليه ابناء المدنية والحضارة ، وان من اراد ان تكون انسانا وابن عصره فليتخلع عن هذا الدين والا كان عليه ان يحيا حياة البادية ، ويعتزل حياة هذا العصر .. كما ان من احب ان يكون اديبا مشهورا ، او قصصيا معروفا ، او شاعرا مقروءا فليحرر عقله ، وقلبه ، ولسانه ، وقلمه ، من قيود هذه اللغة الصحراوية ، وليتخفف منها ما امكن .. فانه على قدر ما يحمل منها بقدر ما تكون خسارته وتخلفه !

وخسئوا هم وخسروا !

فما الحياة في اكرم منازلها ، وانضر وجوهها ، واسعد احوالها الا مع هذا الدين .. دين الفطرة التى فطر الله الناس عليها ، وان الذى لا يجد لهذا الدين مساغا في عقله وقلبه فليعلم انه انسان معطوب ، فقد جوهر بشريته ، وملاك انسانيته وكذلك الذى لا يجد للكلمة العربية ، وللغة العربية شهوة في عقله ، وحبا في قلبه، وسلاسة على لسانه وقلمه فهو دخيل على العرب ، دعى النسب فيهم ثم هو مع هذا انسان مهزوم في الحياة ، يتصيد سقط الكلام من كل لغة ، ثم يلوكه على لسانه ، ليصنع منه ادبا عربيا، وما هوبالعربى ولا الاعجمى ولا بالذى يستقيم مع اية لغة من لغات الناس ، ولكنه العبث الذى يفسد ولا يصلح ، وهو الباطل الذى يعدو على الحق ويريد ان يجليه عن مكانه .

وهيهات ! هيهات ..

فان الله سبحانه قد ضمن حفظ كتابه الكريم ولا حفظ لهذا الكتاب الكريم الا بحفظ لغته ، ومعجزته . وما كان فى ضمان الله فلن تنال منه الاحداث ، ولن تغيره الغير ، « والله غالب على امره ، ولكن اكثر الناس لا يعلمون »

عبد الكريم الخطيب

القومية العربية .. بين الترك والاستعمار

بقلم : محمد جلال كشك

كان دخول العرب فى الدولة العثمانيه فى مطلع القرن السادس عشر ، ضرورة تاريخية ، وعلى العكس من ذلك كان خروجهم من هذه الدولة ، ابتداء من سقوط الجزائر تحت الاحتلال الفرنسى ١٨٣٠ .. الى تصفية الدولة العثمانية على يد جيوش الاحتلال الانجليزى والفرنسى ، وعصابات عودة أبوتان ولورنس من ناحية ، ونشاط الغازى اتاتورك من ناحية اخرى فى مطلع القرن العشرين .. فلم تكن ثمة ضرورة تاريخية تحتم هذا الخروج ولا نتيجة سعيدة تبرر وقوعه ..

لقد كان قيام الدولة العثمانية كما رأينا فى المقال السابق ، ضرورة تاريخية حتمت انتقال السلطة فى الوطن الاسلامى ، وخاصة فى اسيا الغربية وشمال افريقيا ، الى اكبر قوة عسكرية من أبناء الاسلام ، لصد خطر الافناء الصليبى الذى صاحب نهضة الفرنج واكتشاف رأس الرجاء الصالح وبداية عصر الكشوف الاستعمارية ..

وكان للترك تخلفهم وجرائمهم وظلمهم ، ولكن احدا لم ينظر اليهم كمحتل أجنبى ، وقد رأينا كيف دخلت الجزائر باختيارها فى الدولة العثمانية وكذلك امراء لبنان وشريف مكه .. وكيف رفض المغاربة فى مصر التجنيد فى جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم « **لاننا لا نقاتل الا الفرنج** » وقد استطاع الترك أن يصدوا الخطر عن العالم العربى ، واخروا احتلاله اربعة قرون ، ولهم بذلك فى ذمة الاسلام والمسلمين دين لا ينقض ولا تنقصه جرائم حكوماتهم منذ اتاتورك . فنحن نتحدث عن الشعوب لأنها هى الباقية ، والحكومات الى زوال .. وخاصة من تنكر منها لدينه وشعبه وتاريخه ..

صدت المواقع التركية سفن المستعمرين الجدد عن العالم العربى فانطلقت تعيث فسادا بعيدا عن تراثها ، فاكتشفت ونهبت وأبادت شواطىء افريقيا الغربية والجنوبية ، ثم سلبت من الحكم الاسلامى الشرق الاقصى .. الهند واندونسيا والفلبين والملايو والولايات الاسلامية فيما بين روسيا القيصرية والصين وايران .. كلها خضعت لابشع استعمار عرفته البشرية ..

لقد كان ملك الهكسوس مضطرا لادعاء ازعاج فرس النهر لنومه لمبرر لمقاتلة امراء طيبة .. اما الاستعمار الاوروبى فكان من البجاحة والتوقح الى حد المباهاة والمجاهرة باهدافه اللصوصية الصريحة ، والتداعى الى اقتسام بلاد الآخرين ، دونما اعتبار لسكانها كأنها سائمة أو جماد لا يحسب حسابه ..

وما أن اطل القرن التاسع عشر حتى جاء الدور علينا .. وجاءت جيوش نابليون ممثل الثورة الفرنسية ، او الاستعمار الأوروبى فى أكثر صوره خداعا وفحشا .. جاءت تطرق ابوابنا ، ولتذهب الى الابد بنعاس الطمأنينة الكاذبة التى استسلمنا لها .. الا ان جلاء نابليون السريع ، والنهضة الكاذبة التى ابتعثها محمد على ، ثم شغله للمسلمين والعرب بحربه تارة مع الدولة ضد الثائرين عليها ، وتارة بحربه ضدها ..

قد ضيعت فرصة التنبه الجدى على العرب .. بل بالعكس غررت بهم نهضة محمد على فحسبوا ان كل ما يحتاجونه هو جيش على الطراز الأوربى .!

ومهما يكن حكمنا على « محمد على » فان حروبه ضد السلطان ، قد كشفت أن أوربا لاتؤيد «تحررنا» من الحكم العثمانى ، كما يزعم البعض ، فهى التى وقفت الى جانب السلطان ، بما فيها روسيا العدو الألد لتركيا .. وأجبرت أوربا « محمد على » على العودة الى افريقيا ، مجرد باشا تركى ، تابعا للسلطان ، منفذا لمعاهداته التى تفتح اسواق مصر للراسمالية الأوروبية ..

كشفت حروب محمد على ، ان استراتيجية أوروبا ، ازاء الفريسة التى يجرى الاستعداد لتمزيقها والتهامها ، هى ابقاء الرابطة العثمانية

فى الحدود التى تضمن تسلل النفوذ الغربى ، واضعاف الدولة حتى يسهل ابتلاعها جميعا،وحتى تامن مخاطر نمو أحد الأطراف اذا ما استقل ، أو حتى وقوعه بين انياب غير التى خصص لها فى مؤتمرات الذئاب ..

وايضا لتحطيم هذه الرابطة اذا كانت ستشكل سدا ولو قانونيا ضد الابتلاع ، او ستؤدى الى قيام حركة بعث ، تنظم مقاومة عامة للغزو الأوروبى ..

وهذا يفسر كيف انزلت بريطانيا جيوشها لتعيد محمد على الى طاعة السلطان ، وكيف انذرت السلطان ألا يحاول المساس بامتيازات الخديوية فى مصر بعد عزل اسماعيل ، ثم كيف استصدرت منشورا من السلطان بعصيان عرابى ، ثم منعت هذا السلطان بعد ذلك من ممارسة أى حق فى مصر وجندت له من يزعمون الكفاح من أجل الاستقلال عن تركيا !!

.. واصرار المفاوض الايطالى علىاعلان السلطان استقلال طرابلس الغرب .. بعد ان احتلتها ايطاليا!

وفى الجانب الآخر، أفاق المسلمون علىالخطر المميت الذى تبيته لهم أوروبا الحرية والمساواة والاخاء ، وبدت لهم العلاقة العثمانية كحقيقة من شقين متناقضين ، ومتلازمين فى نفس الوقت .

* فهى أولا تشكل منفذا للسيطرة الأجنبية فى طريق تخلف السلطة العثمانية ، وبتغلغل العملاء فيها على نحو لم تعرفه دولة قبلها ولا بعدها من اعلى المناصب الى ادناها وبتدبير وتحويل .. أقوى الدول واضخم المؤسسات الاستعمارية والماسونية والصهيونية والتبشيرية والصليبية وكلها كانت تعمل بهمة وحقد لا يفتران لتمزيق آخر سد اسلامى وتسليمه أو اعداده للابتلاع ..

*وهى أيضا تشكل سدا قانونياضد أطماع هذه الدول .. بمعنى أن احتلال احدى الولايات يعنى الاصطدام بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الرسمية والشكلية غالبا ،وهذه الدولة هى بالحتمية اقوى من الاجزاء كل على حدة ، وهى أقدر بحكم اتصالاتها فى المجال الدولى وارتباطها ، على المناورة ولو بما يكفى لتأجيل هذا الغزو ..

ولكن هذا السد القانونى امام الأطماع الأوربية، اصبح يمثل أمام الثوريين من منتصف القرن التاسع عشر ، امكانية اثارة حركة جهاد ، أو مقاومة وطنية، باسم الاسلام وتحت رايته وفى ظل الوحدة العثمانية وامكانياتها لصد الغزو الاوربى .. وهو ما عرف بعد ذلك بالجامعة الاسلامية ، أو الرابطة العثمانية. اى التفاف المسلمين حول رمز الخلافة لمواجهة اوربا فى جبهة مقدمتها الدولة العثمانية واطرافها تمتد الى داخل الامبراطوريات الثلاث المتآمرة على الاسلام .. البريطانية .. والروسية .. والفرنسية حيث يعيش ملايين المسلمين ..

فالجامعة الاسلامية لم تكن دعوة عنصرية ولا مجرد تعصب دينى ، أو حركة رجعية ، بل حركة وطنية تحررية ، امتدحها « انجلز » والنى عليها « لنين » فى عصرهما ..

وهكذا فهمها زعماء الاصلاح والتحرر ،ولايعيبها استعانة السلطان عبد الحميد بها ، فمهما قيل فى هذا السلطان فقد كان بحكم مركزه يدرك ولو بغريزته نوايا أوربا الشريرة ، ويحاول بقدر مايسعه أن يواجه هذه النوايا مستندا الى القوة الوحيدة التى يستطيع تعبئتها بعد أن جردته قرون التخلف واعمال المستشارين والعملاء المندسين ، من التفوق العسكرى .. لم يكن امام السلطان لحماية مملكته الا التهديد «بالجهاد» .. ولم يكن امام المسلمين الا رابطة الاسلام تجمعهم لمواجهة اللصوص الذين يتقاسمونهم علنا ..

كانت الجامعة الاسلامية دعوة لحركة تحريرية فيها من المنطق ولها من المقومات اضعاف ما لحركة التضامن الآسيوى ـ الافريقى ، أو منظمة الوحدة الافريقية .. اليوم ..

ويقول العقاد فى كتابه عن الكواكبى « فكان من رعاة الاصلاح من يرى أن الجامعة الاسلامية بزعامة الدولة الاسلامية الكبرى هى القوة التى بقيتلأمم الاسلام فى عصر الاضمحلال ، وقد اعوزتها قوة المال والعتاد ، وقوة العلم والصناعة وقوة السياسة والسيطرة الدولية ، فلا أقل من قوة التضامن والاتحاد »

« ونشطت دعوة الجامعة الاسلامية بعد ولاية عبد الحميد بسنوات قليلة وعلى أثر انعقاد مؤتمر برلين وافتضاح مؤامرات التقسيم التى اتفقت على الدول

الكبرى لانتزاع بلاد الدولة العثمانية من سيادتها بغير فارق بين الاسلامية منها وغير الاسلامية »

ويفسر موقف السلطان عبد الحميد بقوله «فغاية الامر فيما قصد اليه السلطان عبد الحميد من دعوته الى الجامعة الاسلامية باسم الخلافة ان يحتمى بعطف العالم الاسلامى فى وجه التعصب الاوربى المطبق عليه من كل جانب ، وان يستمع العالم الاسلامى اليه حين يناديه بتلك الصفة لان اكبر ولاة الامر فيه واعظمهم مركزا فى مراسم السياسة الدولية ، ولم يكن يخفى عليه أن العالم الاسلامى لا يقارع المستعمرين سلاحا بسلاح ٠ ولا ثروة بثروة ولا نفوذا بنفوذ ، ولكنه كان يقنع منه بما يستطيعه فى كفاح الاستعمار ، ويعلم انه يستطيع الكثير مما يخشاه المستعمرون »

وقد اقترح الافغانى على السلطان عبد الحميد حكومة فدرالية ، أو حتى كونفدرالية فساله السلطان « وما أبقيت أيها السيد لتحدث آل عثمان ؟» فرد عليه الافغانى «يبقى مولاى السلطان ملك اولئك الملوك ، فاذا فوبت هذه الخديويات ، فانه سرعان ما تنتظم ايران وافغانستان والهند ويصبح الاسلام قوة عتيدة يرهب الغرب جانبها وتهدأ ثائرته على الاسلام »

فالجامعة الاسلامية لم تكن مؤامرة تركية ، حتى وان رفع شعارها السلطان عبد الحميد بدافع من مصالحه ، بل حركة ثورية ، وشعار تحررى حاول المخلصون من أبناء الشرق أن يثيروا به حركة مقاومة فى وجه الغزو الاوروبى ، بل وكان هؤلاء الثوار الذين تركز نشاطهم فى البلاد العربية يدركون أن مكان الصدارة فى مثل هذا التجمع سيكون للعرب الى حد أن الافغانى ورشيد رضا كانا يدعوان الترك للتعرب واحلال اللغة العربية محل اللغة التركية ٠٠ وسنرى بعد ذلك كيف تنقلب الآية فيدعو العربيان المسميان شبلى شميل وسليمان البستانى لفرض اللغة التركية تحقيقا للوحدة ويقول شبلى شميل انها اكثر قابلية للتطور من العربية !..

وماذا كان موقف الغرب من الجامعة الاسلامية ، بعد أن قسم الأسلاب فى مؤتمر برلين ؟ ٠٠

يقول « توفيق برو » فى رسالته القيمة « العرب والترك » : شعر الاوروبيون بخطر هذه السياسة على نفوذهم وانبرى رجال لهم شأن فى تاريخ الاستعمار كالمسيو هانوتو واللورد كرومر ، واللورد غراى الى مهاجمة الجامعة الاسلامية واعتبارها بؤرة للتعصب الدينى ، وأن ليس القصد منها سوى تحدى قوات الدول المسيحية ، ودعوا الامم الاوروبية الى مراقبتها مراقبة دقيقة والحذر منها » ٠

وبالطبع لم تكن أوروبا غاضبة من تعصب المسلمين حبا فى التسامح الدينى ، الذى لم تعرفه الحضارة الغربية أبدا ، بشهادة توينبى ، وبواقع تجربتنا المريرة معها ، وهى التى حاولت تنصير البربر فى المغرب العربى فى القرن العشرين والتى حاربت تركيا باسم حرية الاديان فى الولايات الاوروبية ، وما أن استقلت هذه الولايات باسم العرب والبلغار حتى تولوا «ذبح المسلمين بالجملةوسلب ونهبوحرق منازل وهتك أعراض وسبى للفتيات الأبكار » تحت سمع وبصر الدول العظمى وحمايتها ٠٠

لم يكن ثمة شريف عاقل يصدق ان أوروبا قد تخلت عن صليبيتها ، أو أنها تطلب الخير للعرب والمسلمين بعدائها لدعوة الجامعة الاسلامية ، وهم يسمعون صرير انيابها فى انتظار ساعة التهام الفريسة ٠٠ حتى ان اللورد سالزبورى وزير خارجية بريطانيا ينصح ايطاليا بالتريث فى احتلال طرابلس التى اعطيت لها فى قسمة اللصوص عام ١٩٠٤ حتى « تكون الفريسة سهلة الاقتناص »

لم يكن ثمة شريف أو عاقل يصدق نوايا أوروبا ، ولكن أوروبا وهى تعد الفريسة للاقتناص لم تكن تعتمد على الشرفاء او العقلاء ، بل على المأجورين والمخبولين ٠٠ وقد بدأت عملية غزو واسعة النطاق ، ربما منذ أيام محمد على للعالم العربى وفى داخل تركيا لتفتيت المقاومة الوطنية ، ثم جاء الاحتلال الفرنسى للجزائر وتونس ثم البريطانى لمصر مدعما لسياسة التخريب هذه ٠٠

وقد تعددت ضروب التخريب الداخلى الى ما لايمكن حصره ولا يتفتق الا عن ذهن اجرامى استهان بكل التقدم الحضارى لا لياخذ بيد المتخلف بل ليورده موارد الابادة والمذلة .. ولعل أهم ملامح المخطط الغربى لابادة الدولة العثمانية هى :

* محاربة الرابطة الاسلامية بالدعوة الى الدولة العلمانية ومعنى ذلك تمزيق الوحدة الاسلامية وتفتيت مقاومة المسلمين ، والقضاء حتى على تمسكنا

الاحتمال الذى يعترض الاطماع الاوروبية ٠٠ ولما كان الدين الاسلامى ليس فيه كنيسة ولا كهنوت ، فان شعار فصل الدين عن الدولة لا يفضى فى النهاية او فى التطبيق الا الى اضطهاد الاسلام والمسلمين كما حدث فى تركيا الكمالية ٠

※ اثارة النعرة القومية بتمزيق الدولة الى ترك وعرب واكراد وارمن وشركس وبربر٠٠ الخ ثم تمزيق كل من هؤلاء الى مذاهب وطوائف ٠٠ والمتتبع لبذور هذه الحركات يجدها كلها قدولدت فى حضانة الاحتلال الاوروبى وبرعايته ، بل أن أشد الدعاة للقومية التركية (مع منافاة ذلك تاما حتى للمصالح العنصرية للترك كحكام امبراطورية يهمهم اخماد النعرة القومية فيها) كان روسى متجنس بالجنسية التركية كان اسمه أحمد أغايف وغير اسمه الى أحمد أغا أو غلى ٠٠ وكانت استفزازاته للعرب تبعث على الريبة حقا ٠٠ وكذلك يوسف آقجورة « من غلاة المتعصبين للقومية التركية وهو روسى درس فى روسيا ثم باريس ولم يدخل تركيا الا بعد الانقلاب الدستورى !! ٠٠ وأول ناد تركى فرق بين الترك والعرب « ترل درنكى » قام بمعاونة المستشرقين ، الذين كما كانوا يبذلون جهودا فائقة فى الكشف عن خصائص القومية المصرية، واللغة العامية ، واثبات انفصال البربر عن العرب ، كانوا على الجانب الآخر يثبتون عراقة القومية التركية وخصائصها ٠٠ !! ٠٠ (عرب وترك ٠٠ توفيق برو) ٠

ذلك أن خبرة اللصوص تثبت ان النقب فى اتجاهين متقابلين أسرع فى الوصول الى الغنيمة ٠٠

وفى الوقت الذى كان يجرى فيه تأليب الترك على العرب ، والعرب على الترك ، كان يجرى تقسيم العرب ٠٠ وتظهر دعوة مثل مصر للمصريين ، فى حماية المحتل ورعايته ، مدعية أن هناك صراعا بين تركيا وانجلترا على مصر .. وان الوطنية السليمة هى لا الى هذا ولا الى ذاك ولكن الى مصرية خالصة ، ومن هذا تكتفى بطلب الدستور خوفا من استبداد السراى ! ناسية أن السراى لا تقوم الا بحماية الانجليز ، ولا يسندها الا الانجليز الذين فرضوها على الشعب المصرى بعد أن اسقطها فى ثورة عرابى ٠٠ ثم لا يتعاونون مع حركة مصطفى كامل خوفا من عودة الاحتلال التركى !٠٠ وكانت تركيا تخشى ارسال جيش الى مصر فى عصر اسماعيل حتى لا يتأثر الجنود بتقدم مصر وحضارتها فتفسد أخلاقهم على دولتهم !

لم يكن ثمة شريف غرب خليج العقبة يصدق حكاية التعاون مع الغرب خوفا من عودة « الاستعمار التركى » !٠ وها هو توفيق الحكيم يقول فى كتابه « سجن العمر » :

« كنا طوال مدة الحرب نتطلع الى ناحية القناة ننتظر مجىء الاتراك والالمان لينقذونا من الاحتلال البريطانى ٠ بهذا الامل كنا نعيش طول الحرب الأولى » ٠

هذه هى الفطرة السليمة٠٠ ولكن ذوى الأغراض، من أجل مقاومة هذا الخيط الرمزى، شكلوا الأحزاب واخترعوا النظريات وتهاونوا مع جيش الاحتلال ، ودار المعتمد البريطانى !

أما شرق خليج العقبة فقد بدأ انقلاب العرب على الترك بسبب أنهم يسلمونهم لأوربا ، وليس لأنهم يتنازعونهم مع أوربا ٠٠

● كذلك شملت خطة التخريب شراء رجال الدولة مثلا كان الصدر الأعظم حقى باشا الذى تم على يده تسليم طرابلس الغرب لايطاليا ، عميلا ايطاليا ،وله زوجة ايطالية ٠

● احتضان الحركات والجمعيات والأحزاب وتشويه تطورها وفرض الجواسيس عليها ، وتلك فى الأصل خطة بريطانية اتبعتها المخابرات البريطانية طوال عمر الامبراطورية الأسود ، وهى التنبؤ بمجريات التطور ثم التعجيل به أو اجهاضه بمسخ مشوه ، يجنبها مخاطر المولود السوى ، ويبعث اليأس فى نفوس الساعين اليه ، المتطلعين له ٠٠ ولعل أقرب مثال لذلك هو أن الحركة الشيوعية فى البلاد العربية قد نشأت فى المرتين عقب الحرب العالمية الاولى والثانية على يد رجال المخابرات البريطانية ٠٠ بل كان جل زعمائها فى المرة الثانية من موظفى مكاتب الاستعلامات البريطانية والأمريكية خلال الحرب ، وكانوا يتقاضون مرتبات من بنك باركليز ٠

لذلك عندما دعا السلطان عبد الحميد الى الجامعة الاسلامية واصطدم مع الدول الاوربية، وقررت هذه خلعه٠٠ كان من الواضح أن حركة اصلاحية دستورية تتجمع فى الدولة العثمانية ، تضم شتى العناصر

والأديان .. تؤمن بالرابطة العثمانية ، وتحاول أن تقيم دولة ديموقراطيـة عصرية قادرة على النهـوض بشعوبها ومواجهة أطماع الدول ، ربما لو قدر لهذه الحركة النجاح لكنا قد رأينا دولة اتحادية ، قبل ، وعلى غرارالاتحاد السوفيتي، واذا كانت«السوفيتية» قد اسـتطاعت أن توحد بين روسـيا ومستعمراتها السابقة ، في آسيا ، فما كان ذلك بمستحيل على « العثمانية » على الأقل بين الترك والعرب والمناطق الاسلامية في أوربا .. أو حتى بين الترك والعرب وحدهما وليس في تاريخهما قبل القرن العشرين ، ما كان بين روسـيا القيصرية ومسـتعمراتهـا من ذكريات مريرة .

ولا شك أن هذه الدولة الاتحادية كما دعا العقلاء من العرب في عشـيه الحرب العـالمية الاولى كانت ستشكل قوة تقدمية قادرة على أن تحمى عرب اسيا من الاحتلال الغربي،بل وعلى تحرير عرب افريقيا .. ربما كانت خريطة العالم قد تغيرت .

ولكن المخابرات البريطانية والفرنسية ما كانت لتغفل عن هذا .. لذلك نشطت الى افساد الحركات الدستورية .

ولا شك أن تاريخ هـذه الحركات يحتـاج لبحث منفصـل ، ويمكن الرجوع الى الوثائق التي تؤيد رأينا في رسالة السيد « توفيق على برو » « العرب والترك » .. الا أن سلوك حزب الاتحاد والترقي، ثم الائتلافيين .. وأخيرا جماعة اتاتورك .. يؤكد أن اصابع الاستعمار كانت تحرك أكثر من خيط ، وتشد أكثر من زعيم ، وتحكم أكثر من تصرف .

لقد سلم الدستوريون للأطماع الاوربية في شتى أنحـاء الدولة من الخليـج العربي الى المغرب العربي باعترافهم بالحمـاية البريطانية على الـكويت وقطر والبحـرين ثم في امتيـازات بريطانيـا بالبصرة ، وسكوتهم على الاحتلال البريطاني لمصر ، وتغاضيهم بل حتى اعترافهم بالتسـلل الفرنسي للشـــام ، وأخيرا بتبديد قوى الدولة في مقاومة العرب، وسحب الجنود والسلاح من طرابلس الغرب لتحتلها ايطاليا، بل قرروا في احـدى اجتمـاعاتهم انهـا لا تستحق القتال ، بينما كانت الحرب الطرابلسية، هي البوتقة التي جمعت ارادة العرب والمسلمين وقاتل فيها كل قادر شريف.. بينماكان صاحب دعوة مصر للمصريين ينـادي بالحيـاد !! بين الشعب العربي في ليبيـا والاحتـلال الايطالي ، وكان آخر هو جورج سـحنة لبناني متجنس بالجنسية الفرنسـية يحرض ايطاليا على احتـلال طرابلس ، ويسمى ذلك اكمـال الحلقة واتمام احكامها «ونكون بين الاهل الاقربين والاصدقاء المخلصين» أي الانجليز والايطاليين باعتباره فرنسيا !

ولكن التخريب الأكبر الذي شنه الدستوريون هو اضطهادهم للعرب ودفعهم دفعا الى الانفصال .. وقد يبدو ذلك مناقضا حتى للمصلحة الذاتية، باعتبارهم حزب حاكم ، وان العرب أصبحوا بعد حرب البلقان الاغلبية في الدولة .. ولـكن هذا يثبت ليس فقط الغباء التركي، بل أيضا الذكاء الاستعماري والنشاط الاستخباري .

كان الاتحـاديون يرفضون أن يضموا عربيـا الى قيـادة حزبهم ، بل وتخلو وزارتهم من وزير عربي وتضم ثلاثة من اليهود !. وفي احسن الأحوال يكون الوزير العربي اليتيم للأوقاف .. ولا تكف صحفهم عن التشـهير بالعرب والهجـوم عليهم .. في وقت تنشط فيه المخابرات الانجلو ـ فرنسية ، وبعثات التبشير ، والصحف سواء في الوطن العربي أو في أوربا في تحريض العرب وتغذية الدعوة الانفصالية بينهم .. وقـد رفض الدستوريون الأتراك كل يد امتدت لهم من العرب وواصلوا عملية تسليم الدولة للاحتـلال الأوربي .. حتى أحس العـرب بخطـر الاستمرار في هـذه العـلاقة مع الترك .. وبدأت تتجمع حركة عربية تحاول أن تنجو بآسيا العربية من المصير المحتوم.. وكانت الاستخبارات البريطانية والفرنسـية بالمرصـاد ، فكما أجهضـت الثورة الديموقراطية على نطاق الدولة العثمـانية وقضت على حلم قيـام دولة اتحادية ديموقراطية بين العرب والترك .. كذلك بدأت تعد العـدة لاجهاض الثورة العربية .. وذلك حديثنا المقبل .

« **محمد جلال كشك** »

أقبل الليل

للشاعر: أحمد رامى

يا حبيبى أقبل الليل ونادانى حنينى
وسرت ذكراك طيفا جال فى بحر ظنونى
ينشر الماضى ظلالا كن أنسا وجمالا
فاذا قلبى قد حن الى عهد شجونى
واذا دمعى ينهل على رجع أنينى

لو ترانى فى الدجى وحدى دمعتى تجرى على خدى
اذن اشفقت من وجدى عليا وطالعك الأسى من ناظريا
فعلمت اى ضنى أعانى فى هواك ورأيت كيف تهيم روحى فى نواك
النوم ودع مقلتى والليل ردد أنتى

والعيش من غير الحديث اليك ضيع بسمتى

ايها الطائر فى مسرى المنى عد الى مغناك فى الظل الظليل
اينع الغصن وطاب المجتنى وهفا الدوح الى رجع الهديل

يا هدى الحيران فى ليل الضنى
اين انت الآن بل اين انا ؟
انا قلب خفاق فى كف الأشواق
انا روح هيمان فى وادى الأشجان

لو عدت لى رد الزمان الى سالف بهجتى
ونشرت من روحى عليك غلالة من رحمتى

يا ايها الليل طال بى سهرى وسألتنى النجوم عن خبرى
ما زلت فى وحدتى اسامرها حتى سرت فيك نسمة السحر

عسى يعود حبيبى مع النهار المطل
ويستقى منه عودى وينتشى منه ظلى
فترقص الأغصان من فرحة القرب
ويرتوى الظمآن من منهل الحب

يا حبيبى عد فقد طال مع الليل حنينى
وانا دمعى ينهل على رجع أنينى

« احمد رامى »

أغنية للشلال الأعمى

للشاعر : محمد أحمد العزب

من فوق الفوق • ومن خلف الأبعاد الزرقاء تحدر
حطم «نطلقاتك •• حطم مجراك •• ودمر •• وتدمر
انا نرجوك •• نصلى فيك لوجه الأخصب والأنضر
يا قلب الشلال الأعمى مزق خلجانك وتجبر

واعزف من طميك سيمفونية حب للفصل الأخضر
فالأرض العاقر سيقان جرداء وتابوت أصفر
ونشيد جنازات يعلو •• يتلوى فى الأفق ويزأر
يا وجه الشلال الأعمى •• عريا •• عريا •• لا تتدثر

كل الأطفال على الأهراء يتامى فى العيد الأكبر
زغرد يا حاطم كل جبال الثلج بمجراك الأسمر
فوراء الصحراء ملايين الأنجم عمياء •• وتسهر
تغزل اكفانا للموتى •• وتموت على الخيط الأشقر

يا وجه الشلال الأعمى •• يا قدرا من غدنا اقدر
أذرعنا صفصاف ممتد عبر فضاء يتقهقر
حتى ليلامس عند مدار الأفق جناحا يتكسر
وعيون عذارانا ملاح ودع طفليه وأبحر

نسيته الأعوام • وكادت أحداق الشاطئ تتحجر
لم لا تصغى يا قلب الشلال الأعمى ؟ انت مخدر
لكن الصحو يموج على رئتيك •• يموج •• ويتحور
فارفع عن ساعدك الوشم المبصوق زمانا وتحرر

واعبر للفردوس الأعلى فى ثقة أبهاء المطهر
هانحن هنا ـ جيل المأساة •• رعايا الطوفان •• تدور
واسحق منطلقاتك •• حطم مجراك •• ودمر وتدمر
انا نرجوك •• نصلى فيك لوجه الأخصب والأنضر

محمد أحمد العزب

حبل الغسيل..

كوميديا في ثلاثة فصول

بقلم: على احمد باكثير

تجرى حوادث هذه القصة فى ربع قديم بحى (معروف)فى القاهرة يشترك فى الاقامة به محرم ابو الديوك مدير مسرح النهضة وعبد الواسع بلعوم مدير احدى الجمعيات الاستهلاكية والمكوجى ابو حنفى الذى يتخذ من الوحش الملحق بالربع منتشرا لغسيله .

الفصل الأول

المنظر

ربع قديم يظهر على المسرح منه :

١ ـ فى ادنى المسرح جزء من حوش واسع.

٢ ـ فى اقصى اليسار وعلى ارتفاع قليل من الارض الفراندة التابعة لبيت ابى الديوك .

٣ ـ فى اقصى اليمين وعلى نفس الارتفاع جانب من الفراندة التابعة لبيت عبد الواسع بلعوم .

٤ ـ لكل من الفرندتين درج نازلة الى الحوش.

٥ ـ فى ادنى يمين المسرح يرى باب البدروم الذى يقيم فيه ابو حنفى المكوجى واسرته وهو متصل بدكانه الذى يقع بابه على الحارة فى الجهة المقابلة .

٦ ـ فى الحوش حبال منصوبة عليها بعض الثياب التى ينشرها ابو حنفى وعلى ارض الحوش بعض الصفائح وبوابير الجاز والطشوت الكبيرة وغيرها من ادوات غسل الملابس .

الوقت قبيل العصر

يرفع الستار عن حنفى واقفا فى الحوش على البسطة الأخيرة من الدرج النازلة من بيت ابى الديوك وهو مستغرق فى دور تمثيل يقوم به على طريقة البانتومايم وهو يتخيل وجود جمهور كبير يتفرج عليه حتى اذا أنهى القطعة خيل اليه أن الجمهور يصفق استحسانا له فينحنى للجمهور مرة بعد مرة ثم يلتفت الى بيت أبى الديوك وهو يقول :

حنفى : سامع يا أبا الديوك ؟ التصفيق والتهليل ؟ يا ناس كلموا أبا الديوك . لا يصح أن يهملنى هكذا ثلاثة شهور كاملة دون عمل وأنا طاقة كبيرة لو مثلت فسأهز البلد ! لأنى لست ديكا من ديوكك ؟ يا أخى اجعلنى ديكا من ديوكك.

ام حنفى : (صوتها من البدروم) حنفى ! حنفى ! (تظهر) يا الهى ! ماذا تعمل فى نفسك ؟

ابو حنفى : (يظهر من خلفها) انه يمثل يا أم حنفى . ابنك صار ممثلا !

ام حنفى : يمثل وحده ؟ انا خائفة على عقل هذا الشاب .

ابو حنفى : كلا لا تخافى. هؤلاء الممثلون لا يصيبهم شئ. حتى الذى يموت منهم على المسرح لا يلبث أن تعود اليه الحياة . الحكاية كلها تمثيل فى تمثيل . مسكين ! ماذا يصنع ؟ لم يعطوه فرصة للتمثيل على المسرح فأخذ يمثل عندنا فى الحوش . خذ يا حنفى يابنى ساعدنى فى نشر هذه الهدوم (يناوله بعض الثياب) .

حنفي : في امكانك يا أبي ان تساعدني لو أردت

(يبدأ الثلاثة في نشر الثياب على الحبال)

ابو حنفي اتسمي هذا الذي تطلبه مني مساعدة ؟ هذا حكم على بيتي بالخراب !

حنفي : يا ابي كل شيء سيعوض .

ابو حنفي كيف ؟

حنفي : حينما أصير نجما كبيرا في المسرح والسينما واكسب الألوف .

ابو حنفي فلننتظر حتى تصير نجما !

حنفي وكيف أصير نجما دون أن يعطوني فرصة ؟

ابو حنفي فليعطوك الفرصة . منذا منعهم ؟

حنفي أنت .

ابو حنفي أنا منعتهم ؟

حنفي : نعم .

ابو حنفي أعلى أن أنطرد من بيتي ودكاني ليتركوك تمثل؟

حنفي ما حيلتي ؟ هذه مشيئة الاستاذ أبي الديوك .

ابو حنفي الهي ينتف ريشه

حنفي رويدك يا أبي .

ابو حنفي المفترى الظالم !

حنفي هو الذي عينني ممثلا في مسرح النهضة .

ابو حنفي أتظنه فعل ذلك لوجه الله ؟ انه أراد أن يشتريك على لتساعده في طردي من هذا الحوش . يريد ان يجعله حديقة لمزاجه الخاص ومزاج صاحبه عبد الواسع بلعوم حسبي الله منه ومن صاحبه!

(يفرغ من نشر ما في يده من الثياب فينسحب نحو البدروم ويختفي)

حنفي : (يحنان ورقة) أنت يا امه الا تستطيعين ان تكلميه ؟

ام حنفي أكلمه ؟ ماذا أقول له يا بني ؟ اقول له اترك المحل الذي تعمل فيه من ثلاثين سنة ؟ أين نجد محلا مثله ؟

حنفي ما حاجتنا الى محل مثله ؟ اني سأنقذكم من شر هذه المهنة .

ام حنفي هذه المهنة هي التي ربت لحم أكتافك وصرفت على تعليمك أتستنكف منها يا حنفي ؟

حنفي أبدا أبدا ياامه الا انها مهنة متعبة وقد تقدمت بكما السن فأنتما محتاجان الى الراحة .

ام حنفي أنقعد من غير عمل ؟ كيف نعيش اذن ؟ على مرتبك الضئيل ؟ على الخمسة عشر جنيها التي تذهب كلها في القمصان والكرافتات ؟

حنفي : كلها سنة أو سنتان وأصير نجما مشهورا واكسب الملايين . أنا كنت الاول في المعهد والاساتذة كلهم يتوقعون لي مستقبلا رائعا في التمثيل .

ام حنفي وفي خلال هذه المدة . في السنة أو السنتين ماذا نعمل ؟

حنفي : سنجد لنا مكانا على قد حالنا نقيم فيه .

ام حنفي بكم ؟

حنفي بتسعة أو عشرة .

ام حنفي له حوش مثل هذا ؟

حنفي : طبعا لا .. مثل هذا لن تجديه ولا بعشرين جنيها اليوم .

ام حنفي وهذا بثلاثة فقط .

حنفي : لأنه ايجار قديم ؟

ام حنفي فكيف نتركه ؟

حنفي : أوه ! انك لا تريدين أن تفهمي كلامي . انكم لن تعيشوا طول عمركم في بدروم . سأسكنكم في قصر . سأبني لكم فيللا . يا ناس اعطوني الفرصة ! اني سأجن !

ام حنفي كفى الله الشر ! طيب يا ولدي خليها على الله وعلى . سأكلمه اليوم من أجلك .

حنفي : ممنون يا امه : ربنا يبقيك لي ويحميك !

(يتوجهان ناحية البدروم)

ام حنفي بس يا اخواتي ماذا أقول لأبي حنفي ؟

(يخرجان)

(تظهر سعدية في الفرندة اليمنى وكأنها تهم بالقاء الكناسة التي في يدها على الثياب المنشورة في الحوش وهي تتلفت يمنة ويسرة خشية أن يراها أحد واذا ابنتها زينات تظهر من خلفها وتمسك بيدها تمنعها من القاء الكناسة على الثياب)

زينات ماهذا يا ماما ؟ ماذا أنت صانعة ؟

سعدية دعيني يابنت . لا شأن لك .

زينات حرام يا ماما أن تقطعي عيش الرجل المسكين . هذا مورد رزقه .

سعدية نحن لا نريد قطع عيشه . كل ما نريده منه ان يفارقنا !

زينات دبري له مكانا آخر له حوش كهذا يغسل فيه وينشر ولك على أن يفارقنا في الحال

سعدية أنا أدبر له ؟ لم لا يدبر هو لنفسه ؟

زينات لن يجد مثل هذا الحوش أبدا اليوم . مستحيل

سعدية نحن أولى بالحوش منه . نحن نسكن شقتين في الربع وهو يسكن البدروم .

زينات الحوش أساس عمله الذي يعيش منه . اما انتم فتريدون أن تجعلوه جنينة !

سعدية نعم هذا من حقنا .

زينات سبحان الله أنسيتم أنه معكم على هذه الحال منذ خمس وعشرين سنة ؟

سعدية يكفى أننا صبرنا له كل هذه المدة !

زينات يا ناس ! انه هو الذى جاء بكم الى هذا الربع لتقيموا معه فيه ويكون جزاؤه أن تسعوا لاخراجه وطرده ؟

سعدية ما شاء الله ما شاء الله ! من أين استقيت هذه المعلومات من الست أم الديوك التى ستكون حماتك .

زينات أرجوك ياماما حسنى ملافظك . الست محسنة لم تسىء اليك !

سعدية وهل قلت فيها كلمة سوء ؟ امرأة أبى الديوك تكون أم ماذا ؟

زينات أم عصام . ابنها الذى سيتزوج ابنتك اسمه عصام .

سعدية معلوم . أنت فى صفها من الآن . ماذا يكون حالك غدا اذا انتقلت الى بيتها ؟ لو قالت لك اذبحى أمك لأطعتها !

زينات ماهذا الذى تقولينه ياماما !

سعدية أصبحت تجادلينني وترفعين صوتك على ؟ هى التى علمتك وأفسدتك !

زينات لا هى علمتنى ولا أفسدتنى .

سعدية انك لتقلدينها حتى فى تسريحة شعرك .

زينات وأى بأس فى ذلك ؟ ان تسريحتها لطيفة وذوق !

سعدية ولى حبها لأبى حنفى وأم حنفى وحنفى أيضا !

زينات أهى المسؤولة أيضا عن حبنا لهؤلاء ؟ ألم نكن طول عمرنا نحبهم ؟ لقد تربينا على يد أبى حنفى ويا طالما خدمنا أبو حنفى ونفعنا !

سعدية نعم كان هذا فيما مضى . أما اليوم فقد أصبح عدونا اللدود .

زينات أنتم الذين عاديتموه . تريدون أن تطردوه من الربع ليتسنى لكم أن تجعلوا الحوش جنينة .

سعدية نعم من حقنا ذلك .

زينات يا ماما لقد عشنا طول عمرنا من غير جنينة أفمن أجلها تخربون بيت الرجل ؟

سعدية كلا يا بنتى ليس من أجل الجنينة فقط .

زينات من أجل ماذا أيضا ؟

سعدية لن تصبح من الأكابر أبدا ما دام هذا الرجل يعيش معنا فى مكان واحد !

زينات لم يا ماما ؟ ألأنه يعرف أصلنا وفصلنا ؟

سعدية نعم يجب يا بنتى أن أصارحك بالحقيقة .. انظرى الى خالتك سميحة مثلا .. ان زوجها ليس أغنى اليوم من أبيك . ومع ذلك أين نحن وأين هم ؟ نحن تحت وهم فوق !

زينات تحبين يا ماما أن تكون مثلهم ؟

سعدية وأعلى منهم ما المانع ؟

زينات اذن فاتركوا حى معروف هذا واسكنوا مثلهم فى الزمالك .. فى العمارة التى بناها بابا هناك .

سعدية أبوك غير موافق . قال ان سكان العمارة سيزعجونه ليل نهار .

زينات فلنترك عمارته ولنسكن فى عمارة أخرى .

سعدية (كأن الفكرة أعجبتها) تعتقدين يا زينات أننا سننبسط هناك فى الزمالك ؟

زينات من غير شك . حى راقى .. حى الأكابر !

سعدية :لكن أبوك لن يرضى .

زينات حاول اقناعه لعله يرضى .

سعدية وأنت تساعديننى ؟

زينات نعم انت من ناحية وانا من ناحية .

سعدية والله انها لفكرة ! نرتاح من جيرة أبى الديوك وأم الديوك !

زينات أم عصام من فضلك !

سعدية :أم عصام هه !

زينات وتريدين أن ترتاحى من جيرتهم لماذا ؟

سعدية عجبا أفتريدين أن نخرجهم معنا الى الزمالك ؟ وراءنا وراءنا فى كل مكان ؟

زينات وأى ضرر فى ذلك ؟

سعدية وأى ضرر ؟! الغرامات يا حبيبتى .. الغرامات التى تقع على رؤوسنا منهم فى كل حين .

زينات أى غرامات ؟

سعدية :لا تعد ولا تحصى ! خذى مثلا الحفلة التى ستقام اليوم فى بيتهم . أتدرين على حساب من ؟

زينات على حساب من ؟

سعدية وعلى حساب أبيك .

زينات وكيف عرفت يا ماما ؟

سعدية كيف عرفت ؟ منذ قليل قام أبوك من عز النوم وانطلق الى الجمعية ليأتى لهم بمستلزمات الحفلة .

زينات من الجائز يا ماما أن يحسبها عليهم .

سعدية .يا عبيطة ! هؤلاء يعز عليهم أن يصرفوا المليم الواحد ومع ذلك يحبون أن يقيموا الحفلات فى بيتهم ! لكى تتشامخ علينا الست أم ... أم عصام !

زينات (تلحظ حركة فى البرندة الأخرى) صه .. هلمى بنا ندخل يا ماما لئلا يسمعنا احد .

(تخرج سعدية وزينات)

(يظهر أبو الديوك فى البرندة اليسرى)

ابو الديوك (يلقى نظرة الى الحوش فيتأفف) أبا حنفى .. أبا حنفى .

ابو حنفى (صوته) نعم يا أستاذ !

ابو الديوك تسمح !

ابو حنفى (يظهر فى الحوش) مساء الخير يا أستاذ محرم .. اى خدمة ؟

ابو الديوك عندنا الليلة حفلة . تسمح تشيل هذه الهدوم ؟

ابو حنفى الى اين اشيلها يا أستاذ ؟

ابو الديوك الى اين ؟ الى البدروم عندك .

ابو حنفى انها مبلولة بعد يا أستاذ . ما نشرتها الا منذ دقائق .

ابو الديوك هل ترى أن نؤجل حفلتنا من أجل الهدوم ؟

ابو حنفى يكون أحسن يا أستاذ .

ابو الديوك أحسن ؟ ماذا تقول يا رجل ؟ المدعوون فى طريقهم الينا الآن .

ابو حنفى اذن فلتبق الهدوم فى مكانها انها هدوم نظيفة

ابو الديوك كلا لايصح ان يروا عندنا هذه المناظر . عيب

ابو حنفى (يزفر زفرة حرى) لا حول ولاقوة الا بالله . أم حنفى ! أم حنفى !

(تدخل أم حنفى وخلفها حنفى)

ام حنفى نعم يا أبا حنفى

ابو حنفى تعال لنشيل هذه الهدوم (يبدأ فى رفع الثياب بعصبية)

ام حنفى تشيل هذه الهدوم ؟

ابو حنفى نعم

ام حنفى وهى مبلولة ؟

ابو حنفى لاباس

ام حنفى كيف ؟ سنضطر غداً ان نغسلها مرة ثانية

ابو حنفى سنغسلها ياستى مرة ثانية ! لقد أصبحنا اليوم أغنياء ونستنكف من هذه الأشياء ان تبدو أمام الضيوف

ابو الديوك لا لزوم يا أبا حنفى لهذا الكلام !

(تظهر محسنة خلف زوجها)

محسنة دعه يتكلم يا محرم .. من حقه أن يتكلم

ابو الديوك (ينهرها) اسكتى انت عن فضلك . [illegible]

ام حنفى الله يعمر بيتك يا ست محسنة يا أصيلة بنت الأصول

ابو الديوك اسكتى يا ولية . لمى الهدوم وانت ساكتة

ام حنفى الله يسامحك يا أستاذ . حاضر يا سيدى

(تحمل الهدوم هى وحنفى الى البدروم)

ابو حنفى حاجة ثانية يا أستاذ ؟

ابو الديوك هذه الحبال

ابو حنفى ما لها ؟

ابو الديوك تشيلها أيضا .

ابو حنفى الا نتركها مكانها يا أستاذ ؟ سيصعب علينا أن نربطها مرة ثانية .

ابو الديوك كلا .. كما ربطتها فى الأولى ستربطها فى الثانية .

ابو حنفى مجهدون يا سيدى .. فى عملنا هذا الشاق من مطلع الفجر !

حنفى : لا عليك ياأبه . دعنى أتول هذا الأمر . سأحل أنا الحبال ثم اربطها من جديد .

(يبدأ فى حل الحبال بهمة ونشاط)

ابو حنفى أجل . مثل يا أخى مثل !

ابو الديوك وهذه البلاوى اتريدون ان تتركوها ؟

ابو حنفى أى بلاوى ؟

ابو الديوك هذه الجوابر والطشوت والصفائح والكراكيب ؟

محسنة اين تريد ان تجلس ضيوفك ؟ فى البرندة أم فى الحوش ؟

ابو الديوك ما شأنك أنت ؟

محسنة يجب أن تجيب على سؤالى !

ابو الديوك كلا .. لن أجيب !

ابو حنفى لا لزوم لهذا التخاصم بينكما . سنرفع هذه البلاوى أيضا .

(ينحى هو وام حنفى تلك الأشياء الى داخل البدروم)

ابو حنفى حاجة أخرى يا أستاذ ؟

ابو الديوك (يظهر الاعتذار) شكرا يا أبا حنفى .. لا تؤاخذنى . ما كنت أريد أن أشق عليك لكن ماذا أصنع ؟ مضطر !

ابو حنفى فى خدمتك يا أستاذ هيا بنا يا أولاد ندخل بيتنا !

(يخرج أبو حنفى وأم حنفى وحنفى)

ابو الديوك (كالمعتذر) سامحينى يا محسنة ان كان فى كلامى شىء من الشدة .

محسنة أنا امرأتك أستطيع أن أحتملك لكن ما ذنب هؤلاء المساكين ؟

ابو الديوك هؤلاء لا ينفع معهم الا هذا الأسلوب . انى أعرفهم جيدا .

محسنة أوقد غرك أنهم سكتوا لك ؟ انما ذلك من طيبتهم والا لو رفض أبو حنفى ...

ابو الديوك يجرؤ ؟!

محسنة لم لا ؟ ماذا يخاف منك ؟

ابو الديوك أنا قابض على رقبته . أنسيت ابنه حنفى ؟

محسنة هذا الشاب المسكين أليس حراما أن تقف فى طريقه ؟

ابو الديوك أنا لم أقف فى طريقه . بالعكس أنا عينته فى المسرح .

محسنة وما الفائدة ! الى الآن لم يعط له دور واحد !

ابو الديوك لقد تلطفنا مع أبيه الا يشاء أفليس على أبيه أن يتلطف معنا ؟

محسنة أتريد أن يتلطف معك أكثر مما فعل !

ابو الديوك فليدعنا نعمل الجنينة التى تريد . يا سلام يا محسنة لو تكون لنا جنينة خضراء تتوسطها فسقية جميلة !

محسنة وهذا الكواء المسكين هل فكرت فى مصيره ماذا يكون ؟

ابو الديوك سيكون مصيره حسنا . سيستريح من هذه المهنة الحقيرة . أنا واثق ان ابنه حنفى سيكون ممثلا ذا شأن !

محسنة اذن فاتح له فرصة الظهور أولا فستجدهم يتركون الربع حينئذ من تلقاء أنفسهم .

ابو الديوك كلا يا محسنة هذا غير مضمون .

محسنة لا يعقل أبدا أن يرضوا بسكنى البدروم بعد ذلك .

ابو الديوك من يدرى ؟ ربما يعز عليهم أن يتركوا هذا الايجار القديم ! ابن آدم طماع ولا يملأ عينه الا التراب !

محسنة دعنى الآن من حكاية أبى حنفى . من المدعوون الى هذه الحفلة ؟

ابو الديوك الا تعرفين من هم ؟ أصحابنا !

محسنة الديوك ؟

ابو الديوك نعم .

محسنة أنا غير مستريحة الى هؤلاء .

ابو الديوك فيم يا محسنة ؟ الم يكن يجمعنا واياهم مذهب واحد ؟

محسنة بالأمس شىء واليوم شىء .

ابو الديوك بالأمس كنا نهدم واليوم نبنى !

محسنة بل بالأمس كنتم تبنون وأنتم اليوم تهدمون .

ابو الديوك ماهذا ؟ لقد عكست الآية !

محسنة كلا .. لقد كنتم فيما مضى تهدمون نظاما فاسدا لتبنوا نظاما صالحا مكانه وهذا يسمى بناء أما اليوم فانتم تريدون أن تهدموا نظاما صالحا لتبنوا أنفسكم على أنقاضه !

ابو الديوك أوه .. دعينى يا حبيبتى من فلسفتك هذه .

محسنة اصغ الى جيدا يا محرم . أنا لا أتفلسف . أنا اليوم أم قبل كل شىء وربة بيت ولا أرضى لبيتى أن يخرب !

ابو الديوك يا حبيبتى كفى الله الشر !

محسنة بالصراحة أنا خائفة عليك !

ابو الديوك على أنا ؟ اطمئنى . نحن فى أمان . لا خوف علينا اليوم بتاتا .

محسنة بل الخوف عليكم اليوم أشد . كان الخوف عليكم فيما مضى من أعداء الشعب أما اليوم فمن الشعب .

ابو الديوك من الشعب ؟ وهل أسأنا الى الشعب فى شىء ؟

محسنة نعم . انكم تعملون فى هدم كيانه وتسرقونه وتستغفلونه .

ابو الديوك كيف ؟

محسنة بانكم تتكتلون فيما بينكم من دونه ونحن نعيش اليوم فى مجتمع اشتراكى لا يقبل التكتلات والشلل .

ابو الديوك انما نتكتل هكذا لنحمى الاشتراكية من أعداء الاشتراكية .

محسنة أرجوك . لا تحاول أن تغالطنى . أنا أدرك كل شىء . ان أعداء الاشتراكية الذين تشير اليهم ليسوا بأخطر عليها من السوس الذى ينخر فى عظمها من الداخل . أتدرى هذا السوس من ؟

ابو الديوك من ؟

محسنة انتم !

ابو الديوك (يتكلف الضحك) أوه .. انت دائما مثالية يا محسنة . ينبغى أن يكون لديك شىء من المرونة .

محسنة كلا لست مثالية . أنا اليوم عملية واقعية . خائفة على زوجى وبيتى وأولادى ! وبقى عليك أن تكون واقعيا مثلى .

ابو الديوك كيف ؟

محسنة المركز الذى كنت تطمع فيه نلته وزيادة. سيارة وملكتها . عمارة وبنيتها . عزبة واشتريتها وعشة فى مرسى مطروح فماذا تريد بعد ؟

ابو الديوك وماذا تريدين منى أن أعمل ؟

محسنة: اعمل على حل هذه العصابة !

ابو الديوك: العصابة ؟!

محسنة: نعم ما أنتم الا عصابة .

ابو الديوك: وكيف أحلهم ؟

محسنة: واجههم بالحقيقة .. قل لهم يكفوا عن تكتلهم هذا قبل أن يمسكهم الشعب ويعاقبهم

ابو الديوك: يمسكنا كيف ويعاقبنا كيف ؟ اطمئنى . لن يمسنا سوء أتدرين لماذا نقيم هذه الحفلة ؟

محسنة: من أين لى ان أعرف ؟ هل أخبرتنى ؟

ابو الديوك: ماذا أصنع يا محسنة ؟ رأيتك تكرهين أصحابنا هؤلاء ولا تطيقين ذكرهم . هذه الحفلة يا ستى نقيمها ابتهاجا بسقوط منصب هام جديد فى أيدينا. ظللنا نجرى وراءه وراءه حتى استولينا عليه .

محسنة: تعنى أن الزحف مستمر ؟

ابو الديوك: نعم .

محسنة: والعاقبة ؟

ابو الديوك: سليمة . لا خوف علينا بالمرة . كل شيء فى حدود النظام . اطمئنى يا حبيبتى نحن أنصار الاشتراكية وحماة مكاسب الشعب .

محسنة: مكاسب الشعب أم مكاسبكم أنتم ؟

ابو الديوك: يا حبيبتى أولسنا نحن من الشعب ؟ فمكاسبنا هى من مكاسب الشعب .

محسنة: أعوذ بالله . أتدرى ما معنى هذا الذى تقوله ؟

ابو الديوك: ما معناه ؟

محسنة: معناه أنكم منذ الآن قد أصبحتم أعداء الشعب .

ابو الديوك: اعداء الشعب ! انصار الشعب ! بينى وبينك يا محسنة : هل تظنين هذا الشعب يميز أنصاره من أعدائه ؟ هم اليوم خلطبيس !

محسنة: انت مخطىء . هذا الشعب لا يمكن لأحد ان يستغفله . لعله يعرف أعداءه من اليوم ولكنه لا يريد أن يكشفهم الى أن ينفد صبره فينقض عليهم ويستأصلهم ان شاء الله !

ابو الديوك: تبا لك يا محسنة لا حق لك أن تدعى عليهم .

محسنة: الدعاء سلاح العاجز . هؤلاء يجب كفاحهم لا الدعاء عليهم . آه ليت عندى حماسة الشباب وقوته !

ابو الديوك: ماذا كنت تصنعين ؟

محسنة: كنت أشهر بهم فى الصحف . كنت أكشف وصوليتهم وانتهازيتهم !

ابو الديوك: فى الصحف ؟ تقولين فى الصحف ؟

محسنة: نعم فى الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية والشهرية !

ابو الديوك: (يضحك) وتظنين انك تقدرين أن تنشرى فيها ؟

محسنة: لم لا ؟ الآن ديوككم منبثون فى الصحف ولهم عليها السيطرة ؟ أنا أعرفهم جيدا . لو ووجهوا بقليل من الشجاعة وقليل من الايمان لكشفوا مثل الأرانب !

ابو الديوك: لا لا ، لاحق لك فى هذا القول . انهم أصحابك وزملاؤك فى الكفاح ، وما تعارفنا أنا وأنت وأحب أحدنا الآخر الا عن طريقهم .

محسنة: اسمع يا محرم . ان كان لوجودهم مبرر فى العهد البائد فلا مبرر لوجودهم اليوم .

عصام: (يسمع صوته من بعيد) بابا ماما أين أنتما ؟

ابو الديوك: عصام نحن هنا فى البرندة !

عصام: بابا ، عمى عبد الواسع جاء .

ابو الديوك: (يقترب من عصام ليهمس له) وجاء بشيء معه ؟

عصام: نعم جاء بفراخ مشوية وتفاح و .. حاجات أخرى !

ابو الديوك: صه لا ترفع صوتك ! (بصوت عال) أهلا وسهلا .. دعه يدخل يا ولد ! تفضل يا عبد الواسع !

عصام: لقد خرج يا بابا .. وضع هذه الحاجات فى الصالة وخرج . قال انه سيغسل وجهه ويلبس ثم يعود للحفلة (يخرج) .

ابو الديوك: هيا اذن يا محسنة الى العمل ! أعدى البوفيه .

محسنة: وبعد يا محرم ؟ الى متى يقيم عبد الواسع هذا حفلاته فى بيتنا ؟

ابو الديوك: هذه ليست حفلته . هذه حفلتنا جميعا .

محسنة: وهذه الحاجات أليست منه ؟ أليست على حسابه؟

ابو الديوك: على حسابه أحسن من أن تكون على حسابنا !

محسنة: لكى تعيرنا الست سعدية امرأته وتتبطر علينا !

ابو الديوك: تجرؤ ؟ دعيها تتفوه بكلمة واحدة ! ماذا تظنين ؟ أتظنين ان زوجها لا مصلحة له فى ذلك ؟

محسنة: أى مصلحة ؟

ابو الديوك: المسرحية التى ألفها .

محسنة: اهو أيضا يؤلف مسرحيات ؟ مدير تموين يصبح من المؤلفين ؟

ابو الديوك: وما المانع ما دام من شلتنا ؟

محسنة: ويا ترى هذه المسرحية ماذا يكون شكلها ؟

ابو الديوك: ليس هذا هو المهم . المهم أنها ستقبل منه وتمثل على المسرح !

محسنة: اذن فلماذا لا يقيم الحفلة في بيته ؟

ابو الديوك: يا عبيطة ! في بيتنا افضل ! على الاقل ينسب الجميل الينا .

محسنة: أوتظن الضيوف لا يعرفون الحقيقة ؟

ابو الديوك: يعرفون أو لا يعرفون . لا يهم . يكفى أن فائض الحفلة سيبقى فى بيتنا !

محسنة: دعنى من هذا . القصد كله أن تقعد الست سعدية رجلا على رجل وانا التى اتعب وادوخ !

ابو الديوك: ياستى تشغليها معك .

محسنة: أشغلها ؟ أوترضى هذه ان تتعب نفسها الا فى استقبال النسوان ؟

ابو الديوك: النسوان ؟

محسنة: الا تعرف ؟ نسوان تجار الفاكهة والطيور اللاتى تستقبلهن فى بيتها صباح مساء لتعقد معهن الصفقات وزوجها يورد لأزواجهن من تموين الشعب !

عصام: (يدخل) الضيوف يا بابا !

على احمد باكثير

اغنية صوفية

للشاعر: ابراهيم محمد نجا

لانك في قلبي ، وملء مشاعري ... اراك ، وان طوفت بين الدياجر
اراك بقلبي ، وهو ظمآن للسنا ... وانت سناه .. بل سنا كل حائر

اراك بفكري نور معنى مقدس ... يلوح بعيدا عن مدى كل خاطر
وارنو الى كل الوجود ، فلا ارى ... سواك ، فانت الكل في كل ناظر

بعيد عن الافهام انت ، وان تكن ... قريبا الى قلب المحب المثابر
احبك قلبي حين ادرك نبضه ... بانك سر النبض .. سر السرائر

احبك فوق الحب .. والحب فوقه ... فناء الندى في قلب ضوء مباكر
فيا اولا من غير بدء ، وآخرا ... بغير انتهاء او حدود لآخر

اناني وجودا بدؤه الحب ساميا ... وغايته في الحب اسمى المظاهر
ويا باعث الانوار في كل ظلمة ... فتسفر عن صبح من الحب زاهر

اعنى على هذا الظلام بقبسة ... من النور تدعو كل نور مهاجر
ويا عالم الاسرار تعلم انني ... انوء بسر ما له من نظائر

حملت اساه ملء نفسي زوابعا ... من النار تشقى في لظاها مشاعري
فضيعني حتى تمنيت صادقا ... خريفا به افنى ، وتفنى ازاهري

وعذبني حتى احال ترنمي ... انين الثكالي ، او نواح المزاهر
احاول ان انساه في كل لحظة ... فيدعو الى ذكراه كل خواطري

يلازمني مثل المصير ، وان يكن ... على النفس اقسى من جميع المصائر
هو اللفظ والمعنى ، هو الصوت والصدى ... هو الظاهر المحجوب خلف الستائر

الم يان لي ان يترك السر عالمي ... فيخضر عمري كالمروج النواضر !
ويا عالم الاسرار تعلم انني ... صبرت ، فلم اترك مجالا لصابر

وتعلم اني حينما ثرت ، لم اكن ... اثور على ما شئت لي من مقادر
هو الالم الطاغي يزلزل هداتي ... فتنبض اعماقي بصرخة ثائر

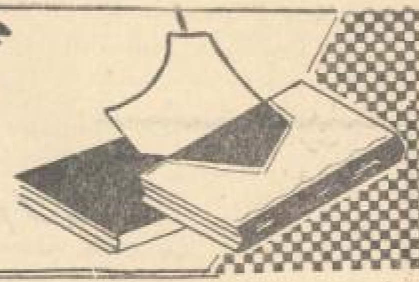
وتعلم اني حين قصرت ، قدمت ... دموعي نداماتي وشتى معاذري
وهانذا قد جئت ارفع توبتي ... اليك ، فادركني برحمة غافر

***

تغنيت يا ربي بنورك ظامئا ... اليه ، فبشرني باحلى البشائر

كركوك – العراق ... ابراهيم محمد نجا

تعقيبات



بقلم : عباس خضر

خواطر في عيد ميلاد يحيى حقي

بلغ الأستاذ يحيى حقي الستين من عمره الخصب في شهر يناير الماضي ، وقد شغلتني بعض الأمور التي عقبت عليها في الأسابيع الفائتة عن كتابة كلمة حب في ذكرى مولد هذا الرجل الذي ظل نحو اربعين عاما يعمل في حديقة الأدب العربي الحديث دائبا كالنحلة العاملة .. يرتاد ويجمع الرحيق من هنا وهناك ويخرج من الانتاج الأدبي الوانا مختلفة لها مذاق شهي خاص وفيها غذاء مريء .

في الأسابيع الماضية قلت كلاما كثيرا اضطرتني ظروف المناقشة ورصد الحركة الفكرية ان احمل فيه واخشوشن على بعض الزملاء ، **فلا اقل من ان اكفر عنه بكلمات طيبات اقولها في رجل كيحيى حقي عطر حياتنا الادبية بنفحات قلمه الذي يستمد معينا عميقا من الفن والجد فيه .**

لم يذهب شهر يناير بالمناسبة التي اعتادت الحركة الصحفية او الفن الصحفي ان يلتزمها ، بل ظلت تذكر بها عدة اشياء تشد اليها وتستحث خشية أن يفلت منها شهر آخر : فبراير .

من تلك الأشياء كتاب الاستاذ «فجر القصة المصرية» الذي قرأته أخيرا للمرة الثالثة ، والذي كان هاديا لي فيما اضطلعت به من دراسة في تاريخ أدبنا الحديث والذي ينقصه – تاريخيا – يحيى حقي نفسه ، وان كان – أدبيا – هو يحيى حقي نفسه ..

فقد كتب عن زملاء له في ريادة فن القصة الحديث في ادبنا ، ولم يكتب – بطبيعة الحال – عن نفسه كواحد منهم .

وجاءت كتابته في هذا الكتاب كسائر كتابته مركزة كالشراب المركز الذي يحل قليل منه في كثير من الماء ..

ليلة أمس وضعت كتاب «فجر القصة» جانبا ، ورقدت في طلب النوم ، وطبقا لعادتي جعلت استجلب النعاس مستعينا «بالراديو الترانزستر» الصغير .. العب بمفتاحه وبمحرك المحطات .. وبدي مستدفئة بالغطاء .. فسمعت الاستاذ يحيى حقي يتحدث في «مجلة الهواء» بمناسبة عيد ميلاده فيعبر عن حرجه من الحديث عن سنه بين السبعين والستين .. السبعين التي اوهمها ما كتبه «كمال الملاخ» في الاهرام من انه دخل في الدورة السبعين .. والستين التي هي حقيقة عمره والتي كانت الدقة اللغوية – التي لا تفوت يحيى حقي – تقضي بأن يقال «الحلقة السبعين» بدل الدورة السبعين.

وكان التعبير عن الحرج لفتة من اللفتات النقدية التي لا يخلو منها كلام الاستاذ كتابة او (دردشة) .. اذ قال انه يأسف باضطراره الى تصحيح ما تبادر الى بعض الاذهان من انه بلغ السبعين .. لانه لا يحب بل يتأذى مما جرى عليه بعض «الرجال» من المزاح بالسن وما يتخلله من التصاغر كما تفعل النساء .. وما يكون فيه من الوصف بالكبر والتنصل منه .. كأنه عيب !

ومما قاله يحيى حقي في الحديث الهوائي ردا على سؤال المذيع عن أسباب تعلقه بالأدب في نشأته – انه ورث الميل الى الادب والالتفات اليه من افراد في أسرته ، وانه نشأ في بيت حفل بكتب الأدب .

كثيرا ما يقال مثل ذلك في نشأة الادباء وغيرهم ،

تدليلا عل المؤثرات الاولى في تكوين الشخصية . ولا انكر ذلك ، ولكن ذهني سرح في مقارنة عجيبة اسلمتني الى النوم .. مقارنة بين نشاة الاستاذ وبين نشاتي .. ان كانت نشاتي شيئا يستحق

ولكن المقارنة لا تخلو من الدلالة الموضوعية على اى حال .

لم أجد في بيتنا عندما تفتحت للقراءة كتبا تغنى أو ترشد الى الادب غير المصحف الشريف ودلائل الخيرات وما اليهما .. ورحت ابحث عن الكتب بوسائل مختلفة ، كان اضعفها الشراء لفقد قوته .. وكان اقواها الاستعارة الداخلية والخارجية من دار الكتب ، وكان بين بين .. الاستعارة من الاصدقاء والزملاء وماقد يصحب ذلك من (الصهينة) وعدم رد الكتاب ..

وليس في أسرتي أدباء ، ولا حتى عشاق للقراءة الأدبية، سواء في ذلك الاصول والفروع ومن بينهما، ولى خمسة اولاد .. ولوا جميعا وجوههم شطر اشياء اخرى غير الادب .

ومما يذكر في هذا الصدد ما قاله المرحوم العقاد في ندوة تليفزيونية قبيل وفاته ، وقد سالته المذيعة عن رأيه في ظاهرة ملحوظة هي ان الادباء لا يعقبون غالبا ادباء ــ قال ان هـذا يرجع الى « اقتصاد الطبيعة » .

ويظهر ان دافعا خفيا في نفسي يريد ــ في غفلة منى ــ ان يحملني على الغرور .. اذ يحاول ان يطبق نظرية « اقتصاد الطبيعة » وقلة ميلها الى السخاء في انجاب المواهب من ذوى المواهب .. يحاول ذلك الدافع ان يطبق هذا على حالى .. وما انا الا رجل في حالى ..

فلنعد الى يحيى حقى :

هذا الجيل الذى يبذل ليحيى حقى ما هو اهل له من التقدير لحاضره ، لا يعرف كثيرا عن ماضيه، واقصد نشاته ، واذ يعرف يزداد تقديرا للرجل الذى لم يتخذ الأدب لهوا وزينة ، يتحلى به الى جانب مناصبه في السلك السياسى مثلا ، او يلهو به في وقت فراغه ، **انما كان، كما ظل وكما لايزال، مهموما به كاداة للتعبير عما يعتمل في نفسه وما يشاغله من اهتمامات جادة يسوقها احيانا مساق**

الفكاهة فلايخفى عليك ما في طياتها من التالم لجراح ليست ذاتية خاصة بمقدار ما هى موضوعية عامة.

بدا الأديب الشاب يحيى حقى (في نحو العشرين من عمره) بدءا حائرا : حاول أولا أن يعرف طريقه هل هو طريق الواقعية التى كانت الجديد في عصره، او هو طريق آخر غيرها ؟

هذه قصة **«فلة ــ مشمش ــ لولو» نشرت** لاديبنا الناشيء بجريدة « الفجر » في ٣ ابريل سنة ١٩٢٥ ، تجرى حادثتها في منزل يتكون من ثلاثة طوابق . في الأول امرأة تركية نظيفة وحيدة تبتعد عن جيرانها لقذارتهم ، تربى قطة اسمها «فلة» وترعاها بحنان . وفي الطابق الثانى اسرة موظف فيها ولد صغير مدلل ، له قط اسمه «مشمش» قذر عربيد على خلاف «فلة» الوادعة . وفي الطابق الثالث امرأة رومية لها كلب اسمه «لولو».

يهجم مشمش على اولاد فلة ، ويأخذ باسنانه واحدا منها، وتجرى وراءه فلة لانقاذ ولدها. وينزل لولو الى الميدان ، ويعلى صوت المعركة بنباحه .. وتنجلي المعركة عن قتيل صغير وفرار القاتل الى الشارع ورجوع الأم حزينة ، ويعود لولو فخورا رافعا ذيله .

وخرجت التركية تشتم، فخرجت زوجة الموظف ترد عليها :

« يا سرنديل هانم .. حقه مالكيش حق ، طب حنعمل ايه للقطط كمان ؟ » فتقول لها سرنديل هانم : « انت يا هانم متعرفيش تربى قطة ! »

وقصص اخرى على هذا النهج الواقعى ، ثم نرى الكاتب الشاب يضيق بالواقعية التى كانت هم انداده وشغلهم الشاغل ، ويحاول ان يصنع شيئا آخر ، فيكتب قصة **«السخرية او الرجل ذو الوجه الاسود»** ــ الفجر ١٦ سبتمبر ١٩٢٦ ــ كتب تحت العنوان : « **بعد قراءة ادجار الان بو » وقدم لها** بمقدمة قال فيها كلاما يدلنا على ان ما يقال **الآن من مثله ليس جديدا .. قال ان الكاتب يشعر احيانا باسرار غريبة « لن يجد في المذهب الواقعى بغيته اذا احب ان يعبر عنها » وقال انه يريد ان يرتفع عن الواقع الى « حيث لا يقيده سوى اوضاع اللغة ومعلومات البشر العامة »**

والقصة تبدأ بوصف نشأة الراوى ــ فيه ملامح

من الكتاب – فى كنفوالد تركى شديدكثير الأوامر التى لا بد من تنفيذها ، ولهذا نشأ ضعيفا قزما لا ينمو جسمه ، ويحلم احلاما في اليقظة بعيدة عن الواقع تتهيأ فيها أشباح مختلفة . وتشتمل القصة على عدة حوادث من هذا القبيل وحادث آخر مع شاب سخر منه لقصره ، ويعبر الراوى عن مشاعره ازاء هذه السخرية التى اثارته وبعثت فيه الكبرياء.

وهذه القصة وقصة اخرى بعنوان « الموت والتفكير » – الفجر ١١ اغسطس ١٩٢٦ – تشبهان « التجارب الجديدة » التى يزاولها الآن بعض كتاب القصة القصيرة على انها ثورة على الشكل التقليدى!

ولم المح علاقة بين قصة « السخرية أو الرجل ذو الوجه الأسود » وبين قصص « بو » . وقد يكون الشاب يحيى حقى أراد أن يعطى قصته اعتبارا من ناحية كاتب غربى كبير ، حتى لا ينقده احد ويرميه بالهذيان ..

ويعود يحيى حقى الى المذهب الواقعى فيكتب على مقتضاه . ومن القصص الواقعية التى كتبها فى الفترة الأولى ولم يجمعها بعد ذلك قصة « حياة لص» يرسم فيها شخصية خفير اصله قروى جاء الى القاهرة وراء فتاة بغى يحبها ، برغم أنه متزوج ، ويميل الكاتب هنا الى النقد الاجتماعى فيقول :

« وأى عجب فى أن يعشق حسنين ابراهيم امراة وهو متزوج من اخرى ؟ اليست زوجته نوعا من المتاع لا قيمة له ولا تدخل في حسابه ؟ »

مرتب « حسنين » جنيهان فى الشهر وله اولاد، يخفر شارعا تجاريا كبيرا ، يشعر بالملل ويحاول ان يقتله .. يتعرف على كل شيء في الشارع ، ولكن الملل يطعنه بقرنيه .. لاحظ ذات ليلة باردة رجلا فى الشارع ارتاب فيه ، ورآه فى اليوم التالى بقهوة ، وتحدث معه ، وحدثه الرجل عن مغامراته النسائية ، وعرف منه أنه « فتوة » وزاره في منزله فرأى به بضائع مختلفة ، ورأى أشخاصا مختلفين يأخذون هذه البضائع وقطعا حديدية تفتح بها الأبواب وتذاكر صفراء (كوكايين) ، ويعرض اللص على الخفير ان يذهب معه ليلة .. فيذهب بملابسه العادية ويأخذ نصيبه من المسروقات مبررا ذلك بأنه « شخصيا » لم يسرق ، وانما وقف بعيدا يرقب الطريق !

المهم ان الكاتب يسير مع « حسنين ابراهيم » بطريقة تحليلية حتى يصل به الى ان يصبح لصا .

ومن تلك القصص التى اهملها « **قهوة ديمترى** » – السياسة ٢١ ديسمبر ١٩٢٦ – ونرى الكاتب الصغير هنا في الفن القصصى الثانى – الصور واللوحات – الذى ما زال يكتبه حتى اليوم – يقدم لنا لوحة لمكان وشخص ، المكان هو قهوة ديمترى في بلد من بلاد « الفربية » يصف القهوة وروادها ومنهم « الشخص » الذى يرسمه ، وهو « الأبونيه » الذى يسافر كل يوم الى المدينة القريبة او القاهرة لشراء ما يحتاج اليه اهل بلده مقابل اجر معلوم .

ونرى فى هذه القصة أوائل من تجارب يحيى حقى كموظف فى الأقاليم .

ونرى يحيى حقى الناقد المبتدىء على عكسه قصصيا مبتدئا .. كتب نقدا لمجموعة « سخرية الناى» لمحمود طاهر لاشين –كوكب الشرق– فبراير ١٩٢٩ – وهو نقد قصصى رائد ، القى فيه نظرة فاحصة على الخطوات الأولى في القصة المصرية ، ثم تناول قصص لا شين بنقد موضوعى تجنب فيه ما كان متبعا فى النقد الادبى على وجه عام من تتبع الأخطاء او الثناء والتقريظ ، بل عنى بالتحليل وبيان مدى توفيق الكاتب فيما قصد اليه من التعبير والتصوير .

من ذلك النقد نرى يحيى حقى يبدأ موقفا مجيدا فى نقده أكثر مما قدر له فى اول كتابته للقصة . ومرد ذلك الى انه لم يعجل في النقد كما فعل بالنسبة للقصة، اذ بدأ الكتابةالنقدية بعد ان اكتمل له حظ لا باس به من الاطلاع والتجارب الادبية . وقد والى هذه الكتابة بعد ذلك بتوفيق كبير واكب توفيقه في كتابة القصة .

ذلك هو كفاح الشاب الاديب الناشىء يحيى حقى الذى نحتفل الآن ، او بتعبير اصدق لا نحتفل .. بعيد ميلاده الستين . وارجو ان نكون اكثر وفاء له فى الاعياد القادمة .

عباس خضر

حول الأدب والشعر

بقلم عبده بدوى

لانكذبى .. وقضية التفعيلة

الذين يحاولون أن يؤكدوا أن الشعر الذى يقال الآن لا يخرج فى معماره عن الشعر القديم، ولا يبعد بكثير عن المضامين البعيدة يسيئون الى أنفسهم قبل أن يسيئوا الى قضية الشعر ، ذلك لأنهم يحكمون بعض المفاهيم السياسية التى تقول أولا بالنسف ، ثم البناء ، ولعل هذا ان صح أنه ينطبق على شىء فانه لن ينطبق بوجه من الوجوه على قضية الشعر ، ولعل هذا يرجع الى أن الشاعر يتعامل مع جوهر كل شىء حين يتكلم عن الطبيعة ، أو الحب ، أو الحرية ، أو الزمن ، أو الموت ٠٠ فكيف ننسف هذه الأشياء ثم نعود الى البحث عنها من جديد ، اننا قد نشاهدها برؤية جديدة ، ولكن تبقى دائما عملية الوصول الى جوهر الشعر التى يطالب بها كل شاعر فى كل زمان ومكان ، والتى لن يصبح بدونها الشعر شعرا ، فاذا أضفنا الى ذلك أنه لا بد أن يصل اليها من خلال وجدانه هو ، وأنه فى عملية وصوله هذه لا يكون واعيا تماما بحركة الحياة ونظامها من حوله ٠٠ اذا أضفنا ذلك وأضفنا أن الشعر ـ على مر العصور ـ قد نما وتطور من داخله وانه لا يصبح أداة عاجزة الا فى يد الشاعر العاجز ادركنا أن شقة الخلاف بين الشعر والتفعيلة ليست كبيرة ، بل انى أزعم أنها تكاد تكون معدومة !

فهناك من البحور ما يعتمد على تفعيلة واحدة ، فاذا أخذنا بحرا من هذه البحور وأردنا أن نطبق ما يقال عليه من شعر التفعيلة الآن أمكن ادراك ما أحب اثباته هنا ٠

ولعل من المفيد هنا أن أسارع الى الاثبات أن الجهارة والرتابة النغمية لاتنطبق على الشعر المتجدد، بقدر ما تنطبق على شعر التفعيلة ، ذلك لأنه فى الشكل الأول يمكن التلوين بوساطة الستة عشر بحرا ، وبالستة المولدة ،وبالأشكال التى استحدثتها الحضارة العربية فى الأندلس ، وبتلك الثروة التى تصل الى حد المائة من الأعاريض والأضرب ، فى الوقت الذى تصدر فيه دواوين كاملة لا تكاد تحيد الا قليلا عن تفعيلة واحدة هى « مستفعلن » ٠

ومهما يكن من شىء فالذى أريد أن أصل اليه

أن الشعر القديم لظروف الحيـــاة التى أحاطت به لا يخلو من الجهارة ، وأن الشاعر القـديم كان من الجفوة وامتلاء النفس (بفتح الفـاء) بحيث يلقى قصيدته شطرا شطرا ، أو بيتا بيتا ، ولكن الشاعر الحديث الآن يكتب ويقف تنفسه فى الشطر أو البيت أكثر من مرة ، بحيث لو حصرنا الوقفات ونثرنا البيت على طريقتها لما اختلفت هذه الطريقة كثيرا عن الطريقة التى يقال بها الآن شعر التفعيلة ، الى حد يمكن القول فيه أن قضية الشعر الآن لا تخرج فى جوهرها عن أن تكون قضية قراءة .

ومع أن هذه الفكرة شغلتنى فترة من الزمن الا انى وجدتها تشغلنى بحدة أكثر ، وبعمق أكثر ، حين رجعت الى قراءة ديوان « لا تكذبى » للشاعر **كامل الشـــناوى** وللتطبيق عليها يمكن أن أقدم هذه الأبيات من قصيدة انا الشعب ، ومن قصيدة جميلة ، فمع انهما من الشعر المتجدد ، الا أنه يمكن قراءتهما بالطريقة التى يوزع بهـا شعر التفعيلة ، وبالطريقة التى تتفق مع حركة التنفس ، وبالطريقة التى يقرأ بها كامل الشناوى نفسه ، بل وبالطريقة التى يغنى بها شعر هذا الشاعر .

● على باب مصر تدق الأكف

ويعلو الضجيج
جبال تدور
رياح تثور
وتصغى
وتصغى

● الليل والقضبان

والجدران والسجان
والقيد الحديد
وصرير أبواب
ووقع خطى
وابواق تدوى
من بعيد
وجميلة عذراء
انسانه
القوا بها فى ارض زنزانه
عريانه !
والأرض عريانه !!

ومع أن هذه الظاهرة موجودة فى كافة الشعر المتجدد ، الا أنهـا تكاد تصرخ فى شـــعر كامل الشناوى ، وبخاصة اذا أدركنا أن الشاعر لا يقف عند التفعيلة ككتلة صوتية ، وانما يدمجها ادماجا صوتيا وفنيا مع الكتلة المجاورة ، بحيث لا تتحكم فى كل ذلك الا الشحنة الانفعالية التى تتحكم هى الأخرى فى مساحة الكلمة من حيث هى كلمة تتسع لا من حيث هى تفعيلة توزن :

فاذا تركنا هذه الظاهـرة وتوغلنـا فى الديوان وجدنا أن القصيدة عنده لا تشغل الانســـان من الخارج ، وانما تشده برفق الى الداخل ، ولكنـــه من داخلها يجد نفســـه يعدو بسرعة بعينيه وقلبـه خلف حلقات فى سلسلة ذهبية أنيقة .. حلقات حين ينتهى الانسان الى نضارتهـــا المشرقة الأخيرة يحس أن روحـه لم تتشرب الحزن حتى ولو كان الشاعر يتكلم عن الحزن ، ولم ترتعد بالأسى حتى ولو كان الشاعر يتعامل مع الأسى نفســـه ، ذلك لأن الايقاع المتوثب ، ونقاء اللغة ، وعشق الشاعر للحياة يكسر الاحســـاس بالحزن ، ويحوله الى نوع هش قد يبهر العين ، ولكنه لا يكسر القلب !

صحيح أن الشاعر يفطن الى « نمو القصـيدة » ويصل بالقارىء فى النبضة الأخيرة الى « مرحـلة الاشباع » ولكن عملية النمو المتوتر التى يفترض أن تشد الانسان شدا متواصلا وعنيفا فى الوقت نفسه ، سرعان ما تهدأ بعض الشىء ،وتثقل حركتها، حين يضطر الشاعر الى القاء شحنة أكثر فى جوانب القصيدة تضطر القارىء الى أن يهدىء من رحلته ، ثم يواصل السير ، ان القارىء لا يكف عن السير مع الشاعر وهو يقول مثلا :

● كيف السكوت لحسنك الثرثار

● ايكم من رأى ابتساما حزينا

● فتركتها لكن قلبى لم يزل

طفلا يعاوده الحنين الى الرجوع
واذا مررت ـ وكم مررت ببيتها ـ
تبكى الخطى منى وترتعد الدموع !

ولكن القارىء قد يتمهل ـ بسبب كثافة الشحنة الجمالية ـ فى رحلته مع الشاعر حين يقول :

● **ففدا القرب ستارا**

يا حبيبي بل جدارا
حائلا بيني وبينك

● **لا تثر لى ذكرياتى انها**
شيبتنى • شيبت حتى صبايا !

صحيح أن اللقطة هنا مأخوذة « بالكاميرا البطيئة » ، وأن هذا قد يكون مطلوبا فى بعض الصور ، ولكن أى ضير فى الا تمتصنا « اللحظة الجمالية » ليتحقق ما نفتقده غالبا فى القصيدة المعاصرة من ضرورة النمو الدرامى المتتابع ، بحيث لا يأخذ الانسان نفسه وراحته ومتعته وتذوقه العميق الا فى نهاية القصيدة •

ومهما يكن من شىء فان شعر « **كامل الشناوى** » يعطينا عالما من الألفة ، فأنت لا تحس بالغربة حين تقرؤه ، ولكن تحس أنك مع صديق ، قد لا يقوم بعمل يشتتك وانت تقول هذا الشعر الا أن يقوم فى هدوء ، ثم يجلس الى « البيانو » ثم يصاحب ما تقرأ ،ليتداخل الشعر مع الموسيقى، ثم ليستحيلا شيئا واحدا من المتعة ، واللذة ، والانبهار !

ان الشعر اذا كان يتحول على يد كثير من الشعراء الى نوع من الدهشة والدوار والغموض والرموز فان شعر كامل الشناوى يعطى الانسان المعاصر الشفافية والحلم والاخضرار والمتعة والصبوة ، بحيث يحس الانسان أنه يقبل على صديق ، يقدم الى جانب هزة اليد •• الابتسامة وفنجان القهوة والحديث المبهر الذى يدور عن نبضات الخنجر الذى يعيش به فى جنبه ، وعن النار التى يحس فيها فى دائرة الظل ، والى أنه أصبح بقايا وشظايا ، والى أنه لا يعيش بقلبه وانما بقلبها ، وقد يتحدث عن الغدر، والخداع ، ولكن حين يصفر وجه السامع ويشفق على الشاعر ، يأتيه صوت يقول :

● **لا وعينيك ما سلوتك عمرى**
فاستريحى •• وحاذرى أن تريحى !

● **سألت عقل فأصغى**
وقال : لا ، لن تراها
وقال قلبى : أراها
ولن أحب سواها
ما انت يا قلب قل لى :
أانت لعنة حبى ؟!
أانت نقمة ربى ؟!
الى متى انت انت قلبى ؟!

ولعل هذا هو السر الذى يجعله دائما عميق الصلة بقارئه ، فعلاقة الشاعر بقارئه قد تقوم على الخوف والرهبة والقلق ، ولكن علاقة كامل بقارئه لا تتعدى دائرة الحب ، فهو لا يصك القارىء، ولكن يتسلل الى نفسه ، وهو لا يتحدث اليه من مناطق غريبة ولكن من منطقة يحس أن القارىء يعيش داخلها ، وهو لا يشعوذ بالرموز الجاهزة لأنه غير حريص أن يرضى شيئا غير الفن ، ولعل هذا يوضح ان الشاعر حين يتكلم يتسلل الى القارىء شعور مريح بأن نفسه هى التى تتكلم ، ولعل خوف الشاعر من الأحاسيس المباشرة هو الذى يجعله « **يلفت** » القارىء ليفكر معه برهة فى الخيال الكسيح ، وشيب الصبا ، وسرقة اليقظة بلا مقابل، وحفر القلب بالسكين ، وتحدى الشوق بالقبلات !

والشاعر يتعامل مع الجنس بمعناه الجمالى ، فهو يقف طويلا عند عينين جنتين ، وهو يقنع من الوصل بالأمانى •

يا حبيبى حسبى من الوصل انى
بالأمانى ألقاك حينا فحينا !

والمرأة عنده ليست رعبا وجسدا وعاصفة ، ولكنها آنية جميلة وفرحة ما يكاد يمر أمام البيت التى تستقر فيه حتى تبكى خطاه ، وترتعد دموعه، وهى شىء يخشى عليه من الضياع ، ولكنه دائما يضيع ، فاذا استوثق من هذا الضياع دعا نفسه الى « ترك الهوان » ، وذكر أن له روحا عنيدة ، ثم ترك صرخة جريحة تقول :

كونى الجحيم سعيرا فلن اكون وقوده !

والشاعر هنا لا يجرى وراء المرأة ، ولكنه ينتظرها ، فاذا حضرت وقالت له ماذا تريد قال لها « أنت » ، ولن يقنعنا أن يقول لها انه شاعر هرم قد حضر لاصطياد الالهام « بقدر ما ينظم القصيدة » فالشاعر هنا يمثل « الفخ » المسلح بالكلمة الحلوة النشوانة فى انتظار نوع خاص من العصافير ، ولكنه لا يمثل النسر الجسور الذى يفرض منقاره وجناحيه على الريح وعلى نوع الفريسة ، ولعل هذا هو الذى يجعله يحول الجنس الى نوع من الترف ، والى طريقة خاصة فى فترات الحب تتمثل فى أن حبيبته تريح بعد العناق رأسها على كتفه ، ثم تبعد وتدنو « كاصبعين بكف » ، وهو يبدأ — حتى فى

حلم من الأحلام ـ فيضم الى الصدر ، ثم يمد يده الى الشعر ، ثم يقوم بحركة ثالثة ـ محسوبة ومقدرة ـ وهى الارتشاف من القبل ، فى الوقت الذى يعقد قلبه من حولها وثاقا ترخيه يداه ! فالحب عنده لا يتحول الى عاصفة تزلزل الوجود ، ولكنه يظل دائما شيئا واضحا يعرف أوله من آخره ، وربما تعرف ـ مسبقا ـ كل كلمة ستقال فيه ! لأن المقصود منه قد لا يخرج عن التعبد فى محراب الجمال .

ولعل هذا يجعلنا نحدق فى وجه من يحب ،وهو نفسه يساعدنا حين يقف بنا وقفة طويلة عند صاحبة صوت جميل ، ولكن لا يلبث أن يذكر لنا بعد ذلك أن ما يبحث عنه هو الجمال .

- **افديك شادية فصوتك فتنة**
  قهارة .. كجمالك القهار
  تترنح الألفاظ فى شفتيك سكرى
  .. منهما وتفوح كالازهار
  ولها بسمعى مثل أصداء المنى
  ولها بقلبى مثل لذع النار !
- **يافتنتى انت شعر**
  الله صاغ قصيده
  وأنت فى الأذن لحن
  وفى فمى تغريده !
- **ايها اللائمون قلبى على الحب**
  رويدا .. فما عسى تبتغونا
  اسلوا عن الجمال وقلبى
  عاش للحسن عاشقا مفتونا !
  انا أهوى الجمال فى حيثما كان
  حيبا ، أو ثائرا ، أو رزينا

فالشاعر يدخل فى تجارب لينتهى الى جوهر الجمال ، ومن هنا يستساغ ضعفه ، وقابليته للتدمير والتحطيم .

- **دمرتنى لأننى كنت يوما احبها**
- **حطمتنى مثلما حطمتها**

والشاعر محب لوطنه وعروبته ، ولعل قدرته الخارقة لا تظهر الا فى هذا المجال ، ذلك لأن الشاعر هنا يجد موضوعا كبيرا يحاصره ويدق عليه قلبه ، فمع أن الشاعر يذود عن نفسه الشعر فى كثير من الاحيان ، وينتظر حتى يأتى اليه الجمال فى « الكافيتريا » مثلا الا أن بعض الموضوعات الوطنية يفرض نفسها عليه ، كما فى بعض المقاطع التى اوردها فى الديوان من أوبريت جميلة التى تصور بطولة المرأة فى كفاح الجزائر ، صحيح أنه اختار « المرأة » لتكون البطلة ، ولكن المرأة تختفى فى القراءة لتظهر حقيقة واحدة هى حقيقة الجزائر .

وهو يتحول فى أول الأمر الى « مهندس ديكور »

- **الليل ، والقضبان ، والجدران ، والسجان ، والقيد الحديد**

ثم يقدم لنا « الموسيقى المصاحبة »

- **وصرير أبواب ، ووقع خطا ، وابواق تدوى من بعيد**

ثم يعطينا الشخصية وينميها من داخل الحدث :

- **وجميلة عذراء انسانه**
  القوا بها فى ارض زنزانه
  عريانة ، والأرض عريانه
  الراس محنى على الصدر
  والصدر منتفض بلا ذعر
  وتكومت فىالركن صاعقة
  محمومة بالويل منقضه
  كيد تلوث كفها غضبا
  وتقوست ، فتحولت قبضه !

وهو من خلال هذا يتحول الى نحات يرينا الخامة، ثم يحول الرأس الى حركة حين يميله الى الصدر ، ثم يصنع أمام اعيننا الصدر ، ثم يحولها الى كيان منتفض حزين ، ثم يجعل هذا الكيان يصغى ، ثم يستمر الاصغاء ، واذا بها تدرك المأساة التى تعيش فيها حين تتحسس ما يجرى فى السجن ، وكأنه ينفذ من جديد ليساعدها على خلق نفسها ، وعلى ادراك نفسها ، ثم يستمر العذاب ، وتتوهم أن « باسل » أمامها يناجيها ، ثم ينتهى المشهد بأن تطلب هى منه أن يغفر لها ذنوبه هو !

❋ ❋ ❋

والشاعر قد يحتك بالكون ، وببعض القضايا الميتافيزيقية الكبيرة ، ولكن امكانياته تظل دائما ضاربة فى منطقة الادراك الحسى للحياة ، وفى التجارب الغرامية المحبطة ، والشاعر يبعد عن الموضوعات المجردة ، ولا يكتب الا ما ينفذ ـ عنده ـ من اللحم الى العظم ، ثم انه يملك رصيدا ضخما مما يمكن أن يطلق عليه «اللغة النقية» ، ثم ان بناءه بالصور يضيف الى معماره الشعرى نوعا من الزهو، بل لا أبالغ اذا قلت نوعا من السعادة ، ونوعا من الطفولة ، يظهر فى تناول الحرف بعد الحرف والكلمة بعد الكلمة ، ولعل هذا يذكرنا بما قيل عن الشاعر « بيتس » من أنه كان كثيرا ما كان يرتد

الى ألفاظ وقواف صبيانية ، فانه يخيل الى الانسان أن كامل الشناوى فى شعره ينط الحبل ، ويقفز ، ويثرثر باخضرار عمر ، وزهوة صبى !

ثم ان بعض الأدوات عنده كالتشبيه والاستعارة تعتمدان على الحس ومع أنه يرتكز فى هـذا على التراث العربى ، الا أنه ينظر الى الأشياء نظرة عصرية ، انه يقيم بناءه من مكعبات صغيرة ولكنه يعطينا دائما شيئا كبيرا يظهر نقصانه اذا اختل واحد من هذه المكعبات ، صحيح أنه يجهد نفسه الى حد الوصول الى ما يمكن تسميته أعماق الصورة كما فى الحب حين يحفر القلب بالنار وبالسكين ، ولكنه يعطى دائما شيئا جديدا ، ولقطة غنية ، ولن يقلل هذا من انسابية التداعى ، وابراز كافة الطاقة الشعرية التى أزعم أنها لن تظهر كماسة باهرة الا فى عمل درامى كبير ، ذلك لأن **كامل الشناوى** الى جانب أنه يذود الشعر أحيانا عن نفسه ، يبدو وكأنه فى بعض القصائد يعانى من الشعر ، ومن البقاء كثيرا فى دائرة النار !

* * *

ومهما يكن من شىء فنحن نجد أنفسنا أمام شاعر ممتلىء بالامكانيات الضخمة ، وقادر على أن يكون تيارا يحفر طابعه على العصر « بالنار بالسكين .. » شاعر يستطيع أن يخلق فى المكان الأول الأوبريت والأوبرا — لارتباطه بالغنائية — ، ويستطيع أن يكون دليلا على أن الجديد ، ليس جمع زهور غريبة ثم الصاقها بشجرة ، وانما هو قبل كل شىء نمو طبيعى على شجرة تضرب فى أرض محلية ، وتستقبل من كل مكان أسباب الحياة !

ولعل ما يصيب الانسان بالمرارة ، أن الشاعر غير متحمس للقيام بهذا الدور ، بل يمكن القول بأنه قد باع هذا الدور للصحافة ، ولعلنا حين نقف الآن وقفة صغيرة ثم نوازن بين دوره فى الصحافة — وهو دور ضخم — وبين دوره فى الشعر لوجدنا ديوان « لا تكذبى » لا يمكن أن يقف خلف هذا العمر الطويل الذى أكد دور الصحافة فى بلدنا .. بل أستطيع أن أقول انه الماسة التى لن ينفد بريقها أبدا ، والتى لم تأخذ من ازميله الا زمنا ضئيلا قد لا يذكره هو لضآلته ، ولكن لعل له رجعة تعوض الخسارة الحقيقية على القارىء العربى، وعلى الشعر والشاعر نفسه !

« **عبده بدوى** »

حنين

للشاعر : عمر الدسوقى

ان تسألوا عن حالتى فالشوق أحرق مهجتى
من بعد أن غادرت عش حبيبتى وبنيتى
ماذا أفدت من المجىء سوى شعور الوحشة
الناس حولى كثرة لكننى فى عزلة
هذا هو « البرنيتش » يحفل باللهى والمتعة
وأعيش فيه منغصا ، وكأننى فى قفرة
ويقول أصحابى حنانك لاتعش فى حسرة
وافتح فؤادك للحياة وخذ سبيل السلوة

فأمامك البحر الجميل يذوب فرط الرقة
ويداعب « البرنيتش » بالنسم الرقيق النسمة
والشرفة الفناء ترفل فى ثياب البهجة
والبحر يرمقها بنظرة وامق ذى غيرة
وتراه يسجد تحت رجليها سجود الذلة
لكنها لا تستجيب له بغير النظرة
عشاقها لايتركون لها سبيل الخلوة
يتزاحمون من الصباح على جميل الجلسة

فاهنأ بشرفتك الجميلة وانس ذكر الغربة
وانعم بصحبة فتية كالزهر وسط الظلمة
يتألقون من الذكاء ومن عميق الخبرة
من كل أروع ماجد فهم خيار الصفوة
فأجبت حقا ماسمعت ، وان يزد فى محنتى
هذا النعيم يشوبه أنى تركت أحبتى
من لى ببسمة زوجتى من لى بضحك بنيتى
هب أننى فى جنة لا شىء يعدل جنتى
صفوة الحياة بغير من تهوى سبيل الشقوة



محمود حمدي الفلكي



بقلم : أحمد سعيد الدمرداش

تمهيـــد :

لقد كان العصر الذى عاشاه محمود الفلكى ، هـــو عصر اليقظة الفكرية للشرق العربى ، وما اشبهه بمطلع الفجر الصادق بعد ساعة الهزيع الأخير من الليل وهو اسود غربيب ، استحكمت فيه الجهالة والجمود . واستغلقت الأفهام نتيجة الرجعية الصماء التى سببها الحكم التركى والمملوكى ، فكان القرن الثامن عشر احلك ساعات الليل قبل مطلع الفجر ، فلما بزغ الفجر على صدى حملة نابليون التى استصحبت السلاح والعلم والفن معها، واشرق بعده النهار ، تيسرت الرؤية لمن يستطيعها ..

نفث الشيخ حسن العطار (١٧٧٦ ـ ١٨٣٥) الذى شهد حملة نابليون نفثته منذ تولى مشيخة الجامع الازهر ، فاخذ يعيب على القوم اهمالهم العلوم العصرية ، والالمام بمؤلفاتها المترجمة عن اللغات الأوربية فيقول « لعمرى لقد تساوى الفطن، والأبله الأفن ، واستنسر البغاث ، وسد طريق النظر على الناظر البحاث » .

رفاعة الطهطاوى ، محمود الفلكى ، على مبارك ، الشـيخ محمد عبده ، احمد عرابى ، كل هؤلاء قد قذفت بهم القـرية المصرية الى صميم العمل الايجابى فى المدينة ، بعد ان تفاعلت صيحات الشيخ العطار فى جوانب الوادى ، كرد فعل عقب طغيان الولاة واستحكام الجهالة والفقر والاستعباد ، يستبقون ابواب العلم والمعرفة ، وتحصيل ما فات روح اليقظة المصرية ، واستعادة بذور التراث العربى المجيـد ، فنبغوا كل فى مهنته ، ولم ينبغ امثالهم فى بلاد الشرق الأخرى مع مماثلة الظروف ومشـابهة الأحوال ، ذلك لان حيوية القرية المصرية كانت لا تزال تتدفق فى عروقهم ، وتنبض بالفوقية ، لعلهم يصيبون هدفا يرفعهم عند النسب !!

لقد كان هذا شعور كل مصرى وكل عربى يســافر الى اوربا لتلقى العلم ، يبغى شرف الانتساب الى مصريته وعروبته.

تاريخ محمود الفلكى :

ولد محمود احمد عام ١٨١٥ فى قرية الحصة من اعمال مديرية الغربية ، وتلقى العلم بالكتاب حتى بلغ العاشرة ، فاخذه شقيقه الاكبر معه الى الاسكندرية ليلحقه عام ١٨٢٤ بالمدرسـة البحرية ، وكانت تسمى دار الصناعة (الترسانة) ، وتلاميذها جمعوا من مكاتب البنادر والقرى ممن تتراوح اعمارهم بين العاشرة والعشرين ، يتعلمون فيها فن بناء السفن والعلوم المتصلة به ، وقد تخرج اخوه الاكبر ضابطا بحريا من هذه المدرسة ، وكان التلاميذ المصريون البحريون هم وحدهم الذين اشرفوا على بناء السفن الحربية عام ١٨٣٣ تحت اشراف فنيين من الفرنسة ، وهى السنة التى تخرج فيها محمود الفلكى برتبة البلوك امين .

لم يقف طموحه عند هذا الحد ، سيما وكانت النية متجهة الى الغاء المدرسة البحرية وتخريج الضباط البحريين من مدرسة العمليات او المهندسخانة ، ثم كانت نكبة الاسكندرية بانتشار مرض الطاعـون فيها ، فانتقل الى القـاهرة والتحق بمدرسة البوليتكنيك ببولاق ، وكان وكيلها ارمنى يدعى يوسف حاكيكيان والأرمن طائفة كان يفضلها الوالى محمد على عن المصريين ، ثم انقسمت المدرسة الى قسمين : الأول مدرسة الفنون والحرف وقد بقى فيها حاكيكيان ناظرا لها ، والقسم الثانى اصبح مدرسة

للمهندسخانة ، والتحت الدراسة بها فى قصر اسماعيل بن محمد على الذى مات فى حرب السودان ، ثم ضمت لها مدرسة المهندسين بالقناطر الخيرية ، وكان بها ثلاثون تلميذا ، ومدرسة المعدنين التى كانت بمصر القديمة ، وقد نظمت الدراسة بها تحت اشراف المهندس الفرنسى لا مبير (بك) على غرار مدرسة الهندسة بباريس، والغرض منها تخريج ضباط للخدمة فى المدفعية برا وبحرا ، ومهندسين للاشغال العامة واعمال المناجم .

وفى نهاية عام ١٨٣٩ تخرج محمود احمد فكان اول دفعته ، ومنح رتبة الاسبران (ملازم) وعين معيدا بالمدرسة ، وفى هذا العام تتلمذ على يديه على مبارك ، وكان يقوم بتدريس علم الجبر ، غير ان طموحه جعله يتقن اللغة الفرنسية والعلوم الرياضية كحساب المثلثات المستوية والكروية ، والهندسة التحليلية ، وعلم التفاضل والتكامل ؛ فاصبح مدرسا للعلم الاخير وترجم له اول كتاب من اللغة الفرنسية الى العربية .

وفى عام ١٨٤٢ حصل على رتبة النقيب (اليوزباشى) وتحول الى دراسة علم الفلك حيث اولع به ، عندما كان يقوم باعمال الرصد فى الرصدخانة ، التى انشئت عام ١٨٣٩ فى البرج الذى انشاه الفرنسيون ببولاق بجانب مدرسة المهندسخانة تحت ادارة يوسف حاكيكيان ايضا ، والغرض من انشاء هذا المرصد «لتجربة الحركات المغناطيسية بهذا القطر (المصرى) وتطبيقها على الجارى برصدخانة بلاد اوروبا» كما جاء بمرسوم الوالى عندئذ .

وفى هذه المدة وضع مخطوطا عنوانه « نبذة مختصرة فى تعيين عروض البلاد واطوالها واحوالها المتحيرة ، وذوات الاذناب واللحى » لمترجمها المرحوم محمود احمد مدرس العلوم الفلكية بمدرسة المهندسخانة المصرية .

والى هنا تنتهى الفترة الاولى من حياة محمود احمد كما كان يسمى حينذاك ، واستمر فيها مدرسا بالمهندسخانة للرياضيات وبالرصدخانة للعلوم الفلكية ، وفى عام ١٨٤٨ انعم عليه برتبة الصاغقول اغاسى وكان لهذه الرتبة شان يذكر ، وهنا يلعب القدر دورا فى توجيه مستقبل محمود احمد حيث يرشحه على مبارك الذى عاد من فرنسا حديثا مع بعثة الانجال : انجال محمد على وحفيده اسماعيل الذى اصبح خديويا على مصر بعد ذلك .

طلب الوالى عباس الاول تخفيض الاعتمادات المالية المخصصة للتعليم حتى يتفرغ للصرف على البدو تحقيقا للحلم الذى كان يراوده بالاستعانة بهم للانفصال عن الحكم العثمانى والاستقلال بمصر ، فطاوعه على مبارك بتقديم ميزانية مخفضة من (١٠٠٠٠ ج) الى (٥٠٠٠ ج) ، باسقاط الرصدخانة والغاء كثير من المدارس ، وترشيح محمود احمد لبعثة الفلك بفرنسا تمهيدا للاستغناء عن الفنيين الفرنسيين ، فارتاح الوالى عباس لهذا التخفيض المروع فى ميزانية التعليم ، وكافأ على مبارك بترقيته من رتبة اليوزباشى الى رتبة الاميرالاى دفعة واحدة ، مع تعيينه ناظرا لمدرسة المهندسخانة التى انصرف عنها لامبير (بك) الفرنسى نتيجة لذلك .

وسافر محمود احمد الى فرنسا عام ١٨٥٠ براتب شهرى قدره ٧٥٠ قرشا مع زميلين معه ، ومكث بباريس تسع سنوات اتم فيها دراسته ، وجال فى اثنائها فى كثير من انحاء اوروبا وقدم تآليفه لمجامعها العلمية ، ثم عاد الى مصر عام ١٨٥٩ فى عهد الوالى سعيد ومنح الرتبة الثانية . وتسمى بعد ذلك باسم محمود حمدى الفلكى .

«ابحاث محمود الفلكى باوروبا»

سافر محمود الفلكى الى فرنسا وهو فى سن النضوج فكان عمره يقرب من اربع وثلاثين سنة ، والتنافس العلمى قد بلغ ذروته بين فرنسا وانجلترا والمانيا ، والثورات الصناعية والتحررية على اشدها فى فرنسا وايطاليا وبقية البلاد فى اوربا فانطلق يدرس بامعان ويبحث بعمق حتى تقدم بالبحوث التالية :

١ ـ رسالة فى التقاويم الاسرائيلية طبعها فى بروكسل عام ١٨٥٥ وقدمها للمجمع العلمى فى بلجيكا .

٢ ـ رسالة فى الحالة الحاضرة للمواد المغناطيسية الارضية بباريس وخواصها ، تلاها على المجمع العلمى الفرنسى عام ١٨٥٦ وكان قد قام فى صيف عام ١٨٥٥ بقياس العناصر المغناطيسية فى ٤٥ مكانا مختلفا بانجلترا وارلندا واسكتلندا وهولندا وبلجيكا والمانيا ، ورسم الخطوط المتساوية الشدة ، والمتساوية الانحراف فى منطقة تمتد ١٤ درجة طولية من دبلن الى نهر الرين ، ٧ درجات عرضية من باريس الى ادنبرا ، وقارن هذه الارصاد بخريطة الكولونيل « سابينك » التى تمت عام ١٨٣٧ واقتصرت على الجزائر البريطانية فقط .

وللمغناطيسية الارضية اهمية فى الملاحة البحرية ، وابحاث الفلكى فيها تدل على انه كان يتصف بالجلد والصبر ، منافسا اقرانه من علماء اوروبا .

٣ ـ نشر فى سنة ١٨٥٦ بحثا آخر عن شدة المجال المغناطيسى للارض فى بلجيكا والمانيا وفرنسا وقدمه للاكاديمية الملكية ببلجيكا فى ٨ نوفمبر مشفوعا بتقرير من الكاتبين «لياجر» والعالم «كوتيليت» يرفعان محمود الفلكى الى مصاف علماء اوروبا ، وفى بحوثه استنتج من ذلك ان المركبة الافقية للمجال المغناطيسى قد زادت فى المدة مابين القياسين وخاصة فى منطقة النمسا .

رجع محمود الفلكى الى مصر وعمره ٤٤ عاما ، وانتخب عضوا بالمجمع العلمى المصرى الذى انشاه نابليون ، ثم عهدت اليه وكالته سنة ١٨٨٠ ، كما انتخب وكيلا للجمعية الجغرافية منذ انشائها ، ثم رئيسا لها فى اواخر حياته .

ولما طلب علماء فرنسا من الوالى سعيد رصد كسوف الشمس ، كلفه الوالى بتسجيل هذا الكسوف ، وكانت منطقة الكسوف الكلى تبدا من كاليفورنيا ، وتمتد عبر المحيط الاطلسى الى اسبانيا ، ثم جنوبا الى افريقيا ، مارة بالصحراء الغربية وتنتهى عند الحبشة ، ولم تكن مدة الكسوف الكلى تزيد عادة عن دقيقة واحدة ، وقد تكون السماء مغطاة بالغيوم هذه اللحظة ولذلك كلما انتشرت بعثات الارصاد فى مختلف الجهات قل احتمال الفشل فى رصد الكسوف .

لذلك اختار محمود الفلكي مديرية دنقلة في شمال السودان مكانا للرصد ، فسافر اليها عن طريق النيل ، وحط رحاله في بلدة المراغة بعد رحلة عشرة ايام على ظهور الجمال بين وادى حلفا ودنقلة تحت شمس يونيو المحرقة ، فوصل الى المكان قبل ميعاد الكسوف بخمسة عشر يوما ، وطفق يقيس ويوالي الأرصاد تحقيقا لقرارات الساعة الفلكية ، وتعيينا لخط عرض المكان .

شاهد الفلكي كسوف الشمس ، وعين زمن ابتداء الكسوف الجزئي ، وابتداء الكسوف الكل وانتهائه ، وكذلك لحظة اختفاء ٩ نقط كلفية على قرص الشمس ، ووقت ظهور ثلاث منها ، وكانت قراءاته لاقرب عشر ثانية زمنية ، ورفع تقريرا باللغة الفرنسية الى اكاديمية العلوم بباريس ، وقد وافقت الاكاديمية على القرار بشكره على هذا المجهود الفنى الدقيق.

وتعتبر أرصاد كسوف الشمس من احسن واتم الاعمال الفلكية التى قام بها محمود الفلكى ، وقد حازت اعجاب العالم الرياضي البكر مسيو دولاناى الذى كان قد اتم فى نفس السنة جزءا من نظرية كاملة عن حركات القمر اتمها سنة ١٨٦٧ وحسب خلالها (عام ١٨٦٥) تاثير احتكاك موجات المد والجزر مع سطح المحيط على معدل دوران الأرض ، وكيف ان هذا التاثير يمكن ان يظهر في حركة القمر على شكل إطالة طول اليوم بمقدار ثانية واحدة كل مائة الف عام .

ثم كلفه الوالي سعيد برسم خريطة للوجه البحرى ، فرسم له خريطة غاية في الدقة والصحة ، وطبعتها الحكومة على نفقتها ، ثم عممتها في كراريس تلاميذ المدارس ، ولازالت هذه الخريطة مرجعا تاريخيا للباحثين ، وتعتبر هذه الخريطة الطبوغرافية عملا علميا من الدرجة الاولى بل يعتبر الاول من نوعه في مصر دقة واحكاما .

لقد كان محمود الفلكي علما موسوعيا بمعنى الكلمة ، وحركة دائبة في البحث في شتى انواع المعرفة حتى انه الف رسالة في اعمار الاهرامات عام ١٨٦٥ ، ورسالة أخرى في التنبؤ عن مقدار فيضان النيل قبل فيضانه ، ورسالة ثالثة في بيان المزايا التى تترتب عل انشاء مرصد فلكى للحوادث الجوية فى الديار المصرية ، ورسالة رابعة في وصف مدينة الاسكندرية القديمة وضواحيها ، كتبها بعد ماكشف بنفسه شوارعها وصهاريجها ومراسيها وابنيتها وشواطئها منذ عصر الاسكندر والعصر الروماني، وقد صور ذلك في خريطة ضمن هذه الرسالة الحافلة طبعت فى كوبنهاجن بالدانيمارك عام ١٨٧٢ .

لم يقتصر محمود الفلكي في ابحاثه على الانماط الغربية في العلوم ، بل دلا دلوه فى التراث الاسلامى ، ففى عام ١٨٥٨ كتب رسالة في تحقيق تاريخ ميلاد النبى صلى الله عليه وسلم وتاريخ الهجرة وتاريخ وفاة إبراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام بالاستناد الى بعض الظواهر الفلكية ، ونشر هذا البحث باللغة الفرنسية في المجلة الاسيوية حتى يطلع عليها علماء اوروبا ، ثم ترجم الرسالة الى اللغة العربية تحت عنوان «نتائج الافهام في تقويم العرب قبل الاسلام» نقتطف منها احد الادلة .

كسوف الشمس يوم وفاة ابراهيم بن محمد عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية ، عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال . كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات ابراهيم ، فقال الناس كسفت الشمس لموت ابراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الشمس والقمر لاينكسفان لموت احد ولا لحياته» . والمتواتر ان وفاة ابراهيم حدثت فى السنة العاشرة من الهجرة ، وقد حسب محمود الفلكى بالرجوع الى الجداول الخاصة بحركات الشمس والقمر التاريخ الذى حدث فيه هذا الكسوف فى المدينة ، فوجد بالحساب ان هناك كسوفا للشمس فى منتصف التاسعة من صباح ٢٧ يناير سنة ٦٣٢ ميلادية ، وهذا يقابل ٢٩ من شوال سنة عشرة هجرية .

ثم دلا دلوه مرة ثانية في المواصفات القياسية للمكاييل والموازين والمقاييس بالاستناد الى التراث الاسلامى ، ثم مقابلة ذلك بالاقيسة الفرنسية وطبعت هذه الرسالة في كوبنهاجن ايضا عام ١٨٧٢ ، واستنتج فيها ان الدرهم هو اساس الوزن مربوطا بالذراع البلدى وبالأردب الذى هو اساس المكاييل ، كما اثبت ان وزن الدرهم يعادل ٣,٠٩٨ جراما .

قضى محمود الفلكى اكثر مدة الخديوى اسماعيل فى نظارة الرصد الفلكى والتعليم والتاليف وندب لماموريات كثيرة ، منها انه باشر ترميم مقياس النيل باسوان ، ثم ناب عن الحكومة المصرية فى المؤتمر الجغرافى الذى عقد فى باريس ١٨٧٥ ، كما ناب عن الحكومة ايضا فى المؤتمر الجغرافى الثانى الذى عقد فى البندقية عام ١٨٨١ ، وعين وزيرا للاشغال العمومية فى ٢١ يونيو عام ١٨٨٢ ، عند قيام الثورة العرابية ، وفى وزارة نوبار التى تالفت عام ١٨٨٤ عين ناظرا للمعارف العمومية ، وبقى فيها حتى ١٩ يوليو ١٨٨٥ حيث ادركته الوفاة فجاة بعد حياة علمية حافلة مشرفة لروح اليقظة المصرية فى عصر متوتر شديد الاعصار .

لم يترك محمود الفلكى مدرسة علمية للجيل الذى اعقبه ، حيث انتهت بموته المدرسة الفرنسية في البحث العلمى واستولى الاستعمار الانجليزى على مقاليد الامور ، وانقلب العلم الى تعليم لتخريج طائفة من الموظفين بعيدين عن روح البحث العلمى الصحيح .

«أحمد سعيد الدمرداش»

المجتمع العربي

تأليف : الدكتور محمد كامل ليلة
نقد : محمد عبدالله السمان

هذا الكتاب دراسة في أكثر من خمسمائة صفحة عن المجتمع العربي :

الأصول العامة والخطوط الرئيسية له، والجغرافية والتاريخية ، ثم القومية كمذهب عام، ومكان القومية العربية من حيث المنهج المذهبي ، وأسسها ، والعقبات التي تعترض طريقها ، والحركات الحديثة لتوحيد المجتمع العربى عن طريقها ٠

يحاول المؤلف أن يؤكد أن للمجتمع العربى سمات ومقومات أساسية جوهرية توحد وتربط بين أجزائه برباط قوى متين العرى، ويتركز هذا الرباط فى فكرة عميقة الجذور ، أصيلة تنبع من قلوب العرب وضمائرهم ، وهى فكرة القومية العربية ٠

وهذه القومية العربية ليست فكرة طارئة ، ولا مذهبا حديث العهد فى الظهور ، ولا دعوة شخصية يعتنقها فرد وينادى بها ، وانما هى حقيقة قديمة واقعة ، سواء من الناحية الجغرافية أو التاريخية لها مضمونها ومقوماتها ، ولها مذهبها فى الحياة ومنهجها ٠

واضح ان المؤلف لا يعتبر القومية العربية مادية محسوسة ، صهرت مادتها ظروف العرب السياسية فحسب ، بل أيضا رباط معنوى صنعته احساسات العرب ومشاعرهم منذ قرون بعيدة ، وهذا الاتجاه فى حاجة الى مناقشة بعد قليل ٠

تحدث المؤلف فى الباب الأول من أبواب الكتاب الثلاثة عن الأسس الجغرافية الثلاثة للمجتمع العربى وهى الموقع الجغرافى ، والجنس العربى ، وأصل الجنس العربى ، فرقعة الوطن العربى الكبير تمتد من الخليج العربى شرقا الى المحيط الاطلسى غربا ، ومن البحر المتوسط وجبال طوروس فى جنوبى تركيا شمالا ،الى المحيط الهندى ومنابع النيل والصحراء الكبرى جنوبا ٠ اما مساحة الوطن العربى فتبلغ ما يقرب من اثنى عشر مليونا من الكيلو مترات المربعة ، وهى مساحة تفوق مساحة القارة الأوربية التى تزيد مساحتها على عشرة ملايين كيلو متر مربع، وأما عدد السكان فى الوطن العربى فيصل الى حوالى تسعين مليونا ٠

وعند الحديث عن الجنس العربى وأصله ، يستعرض المؤلف الآراء الأجنبية ، فبرنارد لويس فى كتابه « العرب والتاريخ » يرى أن مدلول كلمة « العرب » تغير باختلاف العصور ، وتميز كل عصر بمفهوم مستقل لهذه الكلمة ٠ كان يوصف البدو بها قبل الاسلام ، وخص بها الاغريق والرومان العرب الرحل والمقيمين حول الواحات والقاطنين باليمن ، واصبحت تطلق بعد الفتح العربى على العرب الفاتحين أما «نولدكه » فى كتابه : « المؤرخون وتاريخ العالم» فيرى أن المعنى الحقيقى للفظ « عرب » هو صحراء ، وأما أصل الجنس العربى فيرى معظم المؤرخين الاوربيين أن العرب والساميين شىء واحد ، أى أن جميع الساميين عرب ، ويستندون الى أن الاقوام التى تنسب الى العرق السامى مثل الآشوريين والبابليين والآراميين والفينيقيين والعبرانيين وغيرهم ، كانوا يهاجرون من جزيرة العرب ، ولكن بعض المستشرقين يعتقد أن مهد الساميين هو جزيرة العرب ، ومنها تفرقوا وانتشروا فى الأرض ، ويعقب الدكتور كامل ليلة بقوله : «ومهما اختلفت آراء الباحثين فى أصل نشأة الجنس العربى قبل وجوده فى جزيرة العرب، فان الغالبية منهم متفقة على ان هذه الجزيرة منذ بدء التاريخ الانسانى القديم ، كانت مليئة وآهلة بجماعات من البشر متشابهة الملامح والطابع ، وتتكلم لغة واحدة وان كانت لهجاتها متعددة »

وعند بحث الأصول التاريخية للمجتمع العربى عرض المؤلف لتاريخ العرب قبل الاسلام ، وأشار الى أن الغموض كان يكتنفه ، وهذا ما أدى الى عدم ايفائه حقه من البحث ، وقد اصطلح مؤرخو العرب على تقسيم تاريخ العرب قبل الاسلام الى قسمين : العرب البائدة أو عرب الشمال ، وهى تلك القبائل التى بادت قبل الاسلام ، والعرب الباقية ، ويراد بهم العرب القحطانيون من حمير وغيرها من أهل اليمن وغيرها ، والعرب العدنانيون فى الحجاز ومايليها، هذا وقد مر العرب حتى ظهور الاسلام بمراحل ثلاث ، حيث كانت السيادة لعرب الشمال تارة ، ولعرب الجنوب تارة ثانية ثم عادت السيادة لعرب الشمال مرة أخرى ، كما عرض المؤلف لتاريخ العرب بعد الاسلام منذ عهد الرسول والخلفاء الراشدين الى عهد الدولة العثمانية ، ثم عرض لتاريخ الدول العربية

فى العصر الحديث ، وقسمها الى مناطق ثلاث ، تضم الأولى : مصر وسوريا ولبنان وشرق الأردن والعراق وفلسطين والسودان، وتضم الثانية : المملكة العربية السعودية واليمن وعدن والمحميات وامارات الخليج ، وتضم المنطقة الثالثة : ليبيا والجزائر وتونس ومراكش .

وفى الباب الثانى : تعرض المؤلف للقومية كمذهب عام ، وانها ليست فكرة حديثة ، وانما عرفت من قديم الزمان منذ أن عرف البشر الحياة ، وتعرض « للأمة » وأنها من حيث تعريفها وتحديد معناها ، تعتبر من المسائل غير المحددة ، التى اكتنفها شىء من الغموض عند الباحثين ، وهذا راجع الى اختلاف ظروفهم وأوضاع بلادهم ، ثم عرض المؤلف مذهب القومية فى أوربا ولا سيما فى القرن التاسع عشر ، الذى عرف بعصر القوميات نظرا للأحداث السياسية المهمة التى تمت خلاله وكانت سببا فى تغيير الأوضاع فى أوربا ، هذا وقد تعددت النظريات فى هذه المسألة ، كالنظرية الألمانية التى ظهرت فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ويعتبر « فيخست » أشهر القائلين بها ، وكالنظرية الفرنسية التى نشأت كرد فعل للنظرية الالمانية ، واشهر القائلين بها « رينان » ، ثم نظرية الوحدة الاقتصادية ، وتعرف بنظرية الماركسيين الروس .

وفى الفصل الثانى من هذا الباب عرض المؤلف للقومية العربية وعرفها بأنها الشعور الذى يجمع شمل الشعوب التى تسكن الوطن العربى الكبير ، وقد توافر لها الأساسان اللذان لا توجد القومية الا بهما ، وهما وحدة اللغة والتاريخ المشترك . والى جانب هذين الاساسين الاصليين ، وجدت عوامل أخرى تزيدها قوة ومتانة مثل :

الدين ، وهو القوة الروحية ، وهنا أشار المؤلف الى أن البعض يرى أن الدين من عوامل القومية ومن أسس قيام الأمم، ولكنه هو يرى أن قوميات كثيرة نشأت دون أن تتقيد بالأديان والمذاهب ، ولذلك يرى أيضا أن الوحدة الدينية قد لا تكون ضرورة فى العصر الحديث لقيام الوحدة السياسية ، حيث تتوطد الآن هذه الوحدة فى كثير من البلاد التى تتعدد فيها الأديان والمذاهب الدينية مما يدل على أن الدين لا يعد ركنا أساسيا فى نشوء هذه الوحدة .

ولا أظن أن الأستاذ الدكتور كامل ليلة ينسى أن الوحدة السياسية قامت وازدهرت فى الدولة الاسلامية عدة قرون، ولولا أهواء الساسة والشهوات القبلية ، لظلت الوحدة السياسية للدول الاسلامية قائمة الى اليوم ، وليس المهم فى مقومات القومية أو الوحدة السياسية فكرة الشمول ، وانما المهم قوة المقوم نفسه ، ولا أعتقد أن المؤلف ينكر أن العامل الدينى أقوى من أى عامل آخر ، وأبعد أثرا فى بناء الوحدة ، يقول الدكتور فؤاد العطار فى كتابه « النظم السياسية والقانون الدستورى » :

« ولا ريب فى أن وحدة العقيدة كانت العامل الأول فى تحقيق الوحدة لأمم متعددة قديما ، كما أن العالم الاسلامى بوجه عام والعالم العربى بوجه خاص، يدين بوجوده الى الاسلام الذى وحد بين أجزائه ، وجعل له طابعه الخاص الذى يتميز به عن سائر المجتمعات الأخرى ، فمن ذلك أن وحدة العرب تدين بأصولها للاسلام ، لأنه دين عالمى لا قومى ، كما استهدف هذا الدين انماء العالم العربى عن طريق تعريب المجتمعات ، فظهور الاسلام وانتشاره يعد حدثا هاما اذ جمع شمل الأمة العربية تحت لواء واحد هو ذلك الدين الجديد » .

وفى الباب الثالث والأخير : عرض المؤلف للحركات الحديثة لتوحيد المجتمع العربى ، وقد بدأت هذه الحركات التحريرية الفكرية والثورية منذ نهاية عهد الدولة العثمانية ، وأشار الى النزعات السياسية فى العالم العربى أواخر العهد العثمانى ، ويمكن اجمالها فى السعى لاقامة خلافة عربية تقوم مقام الخلافة العثمانية ، والمطالبة باصلاحات خاصة بالبلاد العربية ، والاسهام مع أحرار الاتراك للمطالبة باصلاحات عامة تشمل الولايات العثمانية ، والدعوة الى انفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية لتأسيس دولة عربية مستقلة ثم طلب الحماية من دول أوربية ، ثم أشار الى حركات الثورة العربية الكبرى ، والجامعة العربية ، والجمهورية العربية المتحدة ، والاتحاد العربى الهاشمى ثم اتفاق الوحدة فى ١٧ أبريل سنة ١٩٦٣ .

وبعد ـ فهذا الكتاب دراسة مستفيضة عن المجتمع العربى ، لولا أن هذه الدراسة لم يتوافر لها البحث المقارن بين النظريات الاوربية فى فكرة القومية ، وبين النظرية الاسلامية من جانب والنظرية العربية من جانب آخر ، كما خلت من وضوح أثر الدين الاسلامى فى اشعال الحركات التحريرية فى العالم العربى منذ قبيل انتهاء الدولة العثمانية الى أيامنا هذه ..

« محمد عبد الله السمان »

كتب جديدة

يقدمها: تحسين عبد الحي

« مقدمة ابن خلدون »

« الجزء الأول « الطبعة الثانية »

تاليف العلامة : عبد الرحمن بن محمد بن خلدون

مهد لها ونشر الفصول والفقرات الناقصة من طبعاتها ، وحققها ، وضبط كلماتها ، وشرحها ، وعلق عليها ، وعمل فهارسها :

« الدكتور على عبد الواحد وافى »

مهد المؤلف لهذا البحث بتعريف تاريخى بحياة ابن خلدون ، وما اكتنفه من ظروف ، واضطلع به من أعمال . ويقول المؤلف فى مقدمة الكتاب :

« ولن تقتصر فائدة هذا التعريف على الوقوف على تاريخ ابن خلدون ومختلف العوامل التى كان لها أثر فى تكوينه العقلى والعلمى - بل سيبدو لنا منه - بجانب ذلك - شاهد آخر على عبقريته . فسيظهر منه أن حياة ابن خلدون لم تكن حياة هدوء ولا استقرار ، بل كانت حياة صاخبة مضطربة تفيض بما كان يخوضه من مغامرات ، ويصيبه من كوارث ، ويواجهه من خصومه وحساده من مكايد ومؤامرات ، وأن الوظائف الديوانية والسياسية والقضائية قد استأثرت بمعظم وقته وجهوده فى معظم مراحل حياته ، فقد نهض فيها وما بلغ العشرين ، وظل يحمل أعباءها الى أن نيف على السبعين - فلا يتاح لرجل عاش هذه الحياة أن يصل فى ميادين المعرفة الى ما وصل اليه ابن خلدون ، ويخلف ما خلفه من آثار ، الا اذا كان نسيج وحده فى عالم العبقريات .

ومن مسائل هذا التعريف التاريخى يتألف الباب الأول من هذا التمهيد . فجميع أبواب هذا التمهيد تكشف اذن فى صورة مباشرة أو غير مباشرة عن عبقرية ابن خلدون ومظاهر عظمته ، وبعد التمهيد لمقدمة ابن خلدون يعالج الكتاب مرحلة النشأة والتلمذة والتحصيل العلمى عند ابن خلدون ومرحلة الوظائف الديوانية والسياسية فى المغرب والأندلس ثم مرحلة التفرغ للتاليف ، ومرحلة وظائف التدريس والقضاء فى مصر ، ثم ابن خلدون وفروع العلم والفنون الأخرى الى غير ذلك من أبواب وفصول كثيرة يحتويها الكتاب الذى يقع فى ـ ٥٧٠ صفحة من القطع الكبير ونشرته لجنة البيان العربى .

الدفاع الاقتصادى

ضد الأطماع الاستغلالية الاسرائيلية

تاليف : محمد عبد العزيز احمد ومحمد الجبالى

يقدم الكتاب الوضع فى فلسطين المحتلة من خلال قيام دولة الاستعمار والصهيونية « اسرائيل » والأطوار التى مرت بها خطوات انشاء الدولة المزعومة . الوليد غير الشرعى لقوى الاستعمار العالمى - ويبين الكتاب كيف تفكر اسرائيل - أو كيف يفكرون لها - فى اقامة امبراطوريتها المزعومة من دجلة الى وادى النيل . ووسائلها فى ذلك . فالى جانب الخطط العسكرية والهجمات العدوانية - ترسم اسرائيل لنفسها سياسة اقتصادية عدوانية فى الداخل والخارج فى مجالات الاستثمار والانتاج - سواء منها ما كان على طول الجبهة الافريقية - أو بالتعاون مع دول السوق الأوربية المشتركة التى تحاول الارتباط به . ويخلص الكتاب الى القول بأن التكتل الاقتصادى العربى . أو السوق العربية المشتركة هى المجال الذى لا بد منه للدفاع الاقتصادى ضد الأطماع الاستغلالية الاسرائيلية .

ويقع الكتاب فى ١٤٨ صفحة من القطع المتوسط ونشرته الدار القومية ضمن سلسلة كتب قومية .

المجتمع العربى

تاليف : مجموعة من أساتذة كليتى الآداب والاقتصاد والعلوم السياسية بجامعة القاهرة .

اذا كانت نتائج الحرب العالمية الاولى قد فرضت على الوطن العربى التجزئة السياسية والتبعية الاقتصادية للاستعمار الغربى فان نتائج الحرب العالمية الثانية قد فتحت امام الوطن العربى الآفاق للتخلص من كلا

التجزئة والتبعيـــة اما فكريا فكل من فى الوطن العربى يتحدث فى هذا الأمر ويناقش هذا الموضوع بحيث يمكن القول أن الدعوة الفكرية للتخلص من التجزئة والتبعية قد لاقت النجاح الكامل ، واما عمليا فان خطوات مباركة قد تمت بالفعل وأن خطوات اخرى فى سبيلها الى التحقيق فى الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية • وموضوع هذا الكتاب محاولة لفهم المجتمع العربى على حقيقته ثم تتبعه فى تطوره من الناحيتين الفكرية والتطبيقية فقد تحدث فيه الدكتور محمد صفى الدين عن الاطار الجغرافى للوطن العربى وبحث الدكتور محمد لبيب شقير والدكتـــور رفعت المحجوب فى الخصـــائص الاقتصادية للوطن العربى وبحث الدكتور محمد أنيس والدكتور حراز موضوع حركة القومية العربيـة حتى ثورة ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ هذا الى جانب الموضوعات الكثيرة التى يقدمها الكتاب مثل : نصيب العرب فى تقدم العلم والحضارة والاصول التاريخية للقوميـة العربية ، والوحدة العربية من الناحية السياسـية والوحدة العربية من الناحية الثقافية والمجتمع العربى فى تطوره •

ويقع الكتاب فى ٤٢٦ صفحة من القطع الكبير ونشرته دار النهضة العربية •

الحدود بين الهند والصين

أصل ومنشأ الحدود المتنازع عليها

تاليف : السنير لامب

اعداد : لجنة كتب سياسية

أصبحت الخطوط والحدود القـائمة بين الهنـد والصين التى كانت مثارا للجدل والمناقشـة خلال عشرات السنين • تشكل فى السـنوات الاخيرة مشكلة كبرى فى المجال الدولى • ويحتوى الكتاب على دراسة للنزاع الهندى الصينى على الحـدود القائمة بينهما • قبل وبعد انتقال السلطة فى الهند الى الهنود عام ١٩٤٧ وقد استند المؤلف فى ذلك الى جميع المواد التى نشرت والتى لم تنشر ، بمـا فى ذلك السجلات البريطانية الرسمية •

ويتناول الكتاب بالبحث طبيعة النزاع الصينى الهندى ، ثم وضع الصين ومقاطعة سنكيانج والتبت ودول الهملايا فى التاريخ ، وحدود لاداخ والتبت عام ١٨٦٤ ، وحدود اكساى شهيد فى عام ١٨٧٥ هذا بالاضافة الى تحديد خط ماكماهون ١٨٢٦ ـ ١٩١٤ وادارة هذا الخط

ويقع الكتاب فى ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ونشرته الدار القومية فى سلسلة كتب سياسية •

سد أسوان العالى

تاليف : ايفان كومزين

ترجمة : عصمت عبد الحميد

مراجعة : مصطفى الشهابى

يقدم الكتاب مشروع سد أسوان كامل مشرق يتطلع اليه الشعب المصرى • والخطوات التى تمت قبل وبعـد البـدء فى تنفيذ المشروع وكيف تقوم الجمهورية العربية المتحدة اليوم بمحض ارادتهـا ورغبتها بالاشتراك مع الاتحاد السوفييتى فى بناء السد العـالى كاكبر مشروع يتعلق بالهندسـة الكهربية فى القارة الافريقية • والكتاب عبـارة عن مذكرات خاصة بالمؤلف ـ كأحد الذين ساهموا بالعمل فى مشروع السـد العالى •

ويقع فى ٩٩ صـفحة من القطع الكبير ونشرته الدار القومية ضمن
سلسلة كتب من الشرق والغرب

سباق التسلح

تاليف : فيليب نويل بيكر

ترجمة وتعليق : حمدى حافظ

يبين الكتاب خطورة التسابق على التسلح وأهميـة نزع السلاح فى السياسات الوطنية والدوليـة فى الوقت الحاضر موضحا المشاكل الفنية والسياسية التى تنشأ حينما تفكر الحـكومات فى بحث تخفيض تسليحها ويكشف الكتاب كذلك عن المشاكل التى تنشأ عن وضع اتفاقية دولية ، لتخفيض عام متبادل وتحديد للتسليح الوطنى وقد تعرضت الفصول الاولى من الجزء الثانى من الكتاب الى الحقائق المبدئية الخاصة بالاسلحة الذرية هذا بالاضافة الى موضوعات كثيرة تناولها المؤلف بالبحث مثل :التسليح النووى وتاريخ المفاوضات من أجل نزع السلاح النووى ، والمقترحات العملية الخاصة بنزع السلاح التقليدى ـ وأبواب أخرى فى معاهدة نزع السلاح تؤثر على جميع أنواع الاسلحة والقوات المسلحة •

ويقع الكتاب فى ٥٩٥ صفحة من القطع الـكبير ونشرته الدار القومية فى سلسلة كتب جائزة نوبل •

قراءات في المجلات العربية



يقدمه: محمد العوانى

● **الحضارة الاسلامية في الهند**

يتابع الدكتور عبد الرحمن بدوى فى مجلة الثقافة سلسلة مقالاته عن «روائع الاسلام في الهند» وهو فى الحلقة الثالثة من هـذه السلسلة ، يتحدث يقول بأن اليوم الذى قضاه فى (اجرا) كان يوما مشهودا ، انثالت عليه فيه عظمة الاسلام فى الهند ، فقد شاهد هناك روائع من الفن الاسلامى لا نظير لها فى ديار الاسلام .

ثم يذكر أن من هذه الروائع «تاج محل» أعجوبة المعمار في العالم : فأجمل قصيدة حب ووفاء صاغها الانسان من المرمر الناصع . كما أن هناك أيضا «حصن أجرا» الذى يرف بحمرته الزاهية قويا على نهر «يامونا» وقد تجلت روائع هذا الفن الاسلامى فى نفس الدكتور بدوى حتى لنجده يتساءل : «كم يخطئ ابناء هذا الجانب من العالم الاسلامى ، حين يحسبون ان الحضارة الاسلامية قد زالت بعد سقوط بغداد فى (٦٥٦ هـ ١٢٥٨م) أو بعد زوال دولة الاسلام في الاندلس سنة ١٤٩٢ او بعد استيلاء العثمانيين على مصر في سنة ١٥١٧ . اى عمى فى المنظور وجهل فاضح بدار الاسلام ، ألا فليأتوا اذن الى بلاد الهند حتى يروا للاسلام مجدا لا يعدله مجده فى الاندلس ، بل ولا في دار السلام ابان العباسيين.

ثم يضيف الدكتور : ان هذه المجموعة وحدها (أجرا وما حولها) لأقوى شاهد على أن الحضارة الاسلامية استمرت فى تقدمها العظيم المتواصل ، حتى نهاية القرن السابع عشر على أقل تقدير .

● **ذكريات كبير فلاسفة العصر**

ويعرفنا على أدهم رئيس تحرير مجلة « الكتاب العربى » ببرتراند راسل فيعده فيلسوفا حكيما ذلك أن رسل عرف الدنيا وخبر الناس وعركته الأيام وصقلته الحوادث والتجارب وتعرض للنجاح والاخفاق وتنكر له قومه واضطهدوه تارة ، وعرفوا له قدره وأجلوه تارة أخرى . ثم يذكر أن حكمته قامت على العطف على بنى الانسان ومحاولة توفير الحياة السعيدة لهم ما وسعه الامكان ، وانه قد شارك الانسانية فى أفراحها ومباهجها وشاطرها همومها وأحزانها ، وناصر الحرية والعدالة ، كما أنه كان يمقت من أعماق نفسه الظلم والطغيان ، وقد صارح أمته بآرائه في مواقف كثيرة ، ولم يضن عليها بنصائحه وتوجيهاته ، لذا تعرض للسجن وغضب الشعب فى هذا السبيل .

ويعرض المقال الكثير من آراء ومواقف راسل التى استغرقت تفكيره فى مستقبل الانسانية .

● **روح الاسلام**

وعرض الدكتور « محمـد عبد الله ماضى » فى نفس هذه المجلة كتاب « روح الاسلام » الذى ترجمه أمين محمود الشريف وقد استشهد الدكتور ماضى بنماذج من الترجمة ان دلت على شيء فانما تدل على أن هذا الكتاب يعتبر من الكتب الهامة التى تبين حقيقة الاسلام وتعطى الفكرة الصحيحة عن رسالته الخالدة .

وينقل الدكتور ماضى نصا مما جاء فى هـذا الكتاب خاصا بقرابة الرسول وعشيرته الأقربين حيث يقول « ومن الظواهر الكريمة التى تلفت النظر فى

تاريخ هذا النبي العربي وتشهد بصدق اخلاصه ، وطهارة تعاليمه وقوة ايمانه وثقته بربه ، انك تجد اشد الناس ايمانا به ، هم عشيرته الأقربون وزوجته وابن عمـه ، وأصدقاؤه المخلصون ، ... ولو أن هؤلاء الرجال والنساء الذين كانوا يتحلون بالفضل والذكاء ، آنسـوا منه أقل بادرة توحي بأنه يبغي عرض الحياة الدنيا ، أو أنه يريد التغرير بهم ، أو أنه لا يؤمن بما يقول لهم ، لانهار في الحال صرح آماله في تحقيق أى اصلاح ديني أو اجتماعى » .

● **السياب ... بين المجلات الأدبية**

ونشرت مجلة « الآداب » اللبنانية ثلاث مقالات عن الشاعر المرحوم بدر شـاكر السياب ، يقول الدكتور « خليل حاوي » في احدى هذه المقالات ، ان ذروات نتاج الشاعر في المرحلة الأولى من تطوره تنهض الى مرتبة الشعر العظيم ، وتمثل الكثير من صفاته فقد كان في هذه المرحلة « يعبر عن تراث عريق ونزعة أصيلة في النفس العربية » . على أن المرحلة الثانية من هذا النتاج ، وان تمسك الشاعر فيها بأصالته العربية والتشديد على صفاء اللغة من العجمة، لكن شيئاقد تهدم منهذا التراث الذيبنته تجارب العمر في نفسه ، فارتجت خطوطه وتزلزل عالمه ، فاصبحت تجاربه آنية ، واصبح شاعر صنعة يحتفل بالرصف والصقل والترنح ، « وكأنه يحاول أن يخفي فقر المضمون في شعره بتألق الشكل وبريقه » ، غير أنه في المرحلة الأخيرة أحس بأنه « يقف على أرض بلاده وتاريخها » ، فاسترد أصالته.

وعن صلة الشاعر وارتباطه بجماعة « شعر » فان الدكتور حاوي يصرح بأن السياب وان خالط هذه الجماعة « لكنه لم يندمج بهم ولم يعرف عنه الاتصال بالسفارات ، وخدمة الأغراض المشبوهة وقد انفصل عنهم ، وثار عليهم يوم تكشفت له نياتهم ومخازيهم . وقد منع السيابطيب سجيته أنيسلك مع «الجماعة» جانب الحذر والاحتراس فاستغلوا عروبته ليجعلوا منها جوازات سفر الى الأسواق العربية » .

وننتقل الى مجلة « الشعر » القاهرية فنجد أنها تقول عن السياب بأنه « يجيء في مقدمة الشعراء الذي أثروا الحركة الشـعرية الأخيرة ، والذين أدخلوا على القصيدة العربية مذاقا جديدا ، يتمثل بعضه في الأخذ بالمنهج الاسطوري ، ويدخل في استعمال الرموز استعمالا يدخل في صميم التجربة ، كما يتمثل في الاهتداء الى الحقائق الكونية الكبيرة ، والاحتكاك بها مثل حقيقة الموت ..

وتناولت نفس هذه المجلة ما نشرته للسياب على صفحاتها من انتاج شعري فتبين ان هذا الشعر ظهر بعـد أن دخل في عدة تجارب ، وتوغل في عدة أيديولوجيات ، ثم ظهر أخيرا كجوهر الشعر نفسه شفافا متوهجا مليئا بالحياة والموت معا .. ولكن الموت غلبه حين امتص نضارته قطرة قطرة وشعاعا شعاعا ، ثم أطفأ أخيرا شعاعا كان يضيء ـ على امتداد الرقعة العربية ـ في كل بيت ، في كل قلب ، في كل ضمير .

● **جوته والمعلقات**

وفي مقال نشرته مجلة « المجلة » للدكتورة «نبيلة ابراهيم سالم » ، بينت فيه أن جوته دفعه حبه للعرب الى قـراءة تاريخهم وادبهم ، فقد عكف على دراسة المعلقات عن طريق الترجمات المختلفة ، بل ان هذا الحب دفعه الى المزيد من الاطلاع على الأدب العربي والى تعلم اللغة العربية ، ومما يدل على اهتمام جوته بالمعلقـات قـوله في « الديوان الشرقي للشـاعر الغربي» ان «العرب يمتلكون كنزا أدبيا رائعا يتمثل في المعلقات . وهي أشعار ألفت قبـل عصر محمد وكتبت بحـروف من الذهب ، وعلقت على أبواب الكعبة ، وهي تكشف عن حياة ـ العرب الرحل ـ الذين طالما نشأت بينهم الحـروب نتيجـة الصراع المتبادل بين القبائل . وأما الموضوعات التي تتحدث عنها ، فهي التغني بمجـد القبيلة ومجـد أجدادها وبشجاعتها والدعوة الى الأخذ بالثار من أعدائها،تلك الدعوة التي كان يلطفهـا شعر النسيب والتغني بالكرم والاخـلاق الحميدة ، على أن هذه القصائد نادرا مانكشف القناع عن ديانة واضحة في الوقت الذي تكشف فيه القناع عن أحوال العرب الأخرى .

وتذكر الدكتورة نماذج من شعر جوته كان للأدب العربي فيها تأثير كبير من ذلك قصيـدة « دعني أبك » و « الهجرة » و « القافلة » .

وجوته استطاع من قراءته الفاحصة لشعر المعلقات أن يدون الخصائص الفنية لكل معلقة كما أحسها ، كما أن حبه للشـعر الجاهلي دفعـه الى استنكار كلمة « الجاهلي » فعبارة « الشعر الجاهلي » لا تتفق ـ من وجهة نظره ـ بحال من الأحوال ـ مع هذا التراث الأدبي الصـادق الفني بالتعبيرات والصـور الفنية . والـذي يفيض بالعـواطف والاحساسات الصادقة .

« **محمد العواني** »



لقارئنا
أحمد عمر هاشم

مازلت اذكر ليلة بيضاء . في جوف الظلام
والليل مكتحل الصبابة .. والزمان بها غلام
وحديثنا غدق . يرف على مسافات الهيام
لا نعرف الدنيا سوى قيثارة تحكى الغرام
امل تململ في ضحى الاشواق مشبوب الحنين
حفرت معانيه سطورا في فؤادى لاتبين
والقلب موار الاماني منه تياه الانين
والامس يطفو بالرؤى السكرى على طول السنين
واليوم . ان هب النسيم الحلو رفاف الندداء
واخضوضرت ساع السعادة والهناءة والرجاء
ولغيات ايامنا الخضراء ـ في ظل المساء
فلقاؤنا ـ دنيا السعادة ·· آه ما احلى اللقاء

ليسكت الشعراء ... ليتكلم النقاد ...

بقلم اخلاص حسنى

احتدم الصراع في الفترة الاخيرة بين انصار الشعر الحديث وانصار الشعر القديم وتحول الى معركة أدبية هائلة لا شك انه سيفيد منها الشعر فائدة عظمى فيما لو نظمت المعركة بحيث تعطى كل القوى المشتركة فيها اقصى طاقة ممكنة في مجال تخصصها .

وكنا نود لو اقتنع شعرائنا الافذاذ من كل فريق عن مهاجمة الفريق الآخر وكرسوا كل طاقاتهم في ابراز قدرة اللون الشعرى لكل فريق منهم على صور حياتنا واحداثنا من خلال الأسلوب الشعرى الذى يمارسون الكتابة به و ..

واذا قيل ان الشعراء يخوضون المعركة مسلحين بخاصية التذوق التى يتميزون بها فالرد على ذلك ان تلك الخاصية متوفرة ايضا لدى نقاد الشعر كما أنه من غير الممكن لشاعر لم يمارس الا كتابة الشعر الحديث ان يصدر احكامه على الشعر العمودى بما فيه من جزالة وتمكن .

اما نقد تجربة والدفاع عنها او مهاجمتها بناء على دراسة متمكنة واعية مبنية على المنطق الأدبى السليم ومؤيدة بالبراهين فيجب ان يترك امر ذلك للمشتغلين اساسا بالنقد لان ذلك يعد من صميم النقد الادبى وعلى هذا فانه يبدو واضحا ومحتما ان يسير المعركة ، شعراء يصبون صور حياتنا واحداثنا باسلوب شعرى قصائدى ونقاد يرقبون التطور الشعرى في قصائد الفريقين بنظرتهم الموضوعية ويحللون اتجاهاتها ومدى تمكنها منها من قطاعات الحياة والتعبير عنها بصورة اشمل وشكل ادق ويتناولونها النقد الفنى الأدبى الهادف .

قصيدة بحيرة ناصر

للشاعرة : عفيفة محمد الحصنى

١ ـ عرض الحوار وكانه فقرة واحدة

٢ ـ حذفت فقرة شوهت المعنى وجعلته غامضا . وهى الفقرة التى كانت بعد صياح النوبى :

صاح فى اسوان فاهتز الهرم .
« أين حبى أين ولى وانطوى ؟
هاهنا كانت تناجينى الهوى
يا لقلب ذاب حزنا واكتوى »
وبعد ذلك يأتى جواب حبيبته الميتة :
لم امت ياصاح .

٣ ـ استبدل بكلمة (صرح) فى المقطع الاخير ـ كلمة (هرم) وبذلك انكسر الوزن .

٤ ـ استبدل بكلمة (نوبى) ـ فى المقطع الخامس ـ كلمة نولى .

الفنان الشعبي الراحل
الأستاذ محمود بيرم التونسي
بقلم حسني امين علي

احتفل الأدباء في الجمهورية العربية المتحدة من الشعراء والزجالين والكتاب والفنانين مع أفراد الشعب من محبي الفنون الشعبية بذكرى وفاة الفنان الشعبي الأصيل وأمير الزجالين الشاعر الصحفي الثائر المصلح الاجتماعي الناقد والفيلسوف الذي برع في كتابة القصة والمسرحية والاوبريت والموال والملحمة والأغنية وعلى الأرغول وعلى الربابة والفزورة: المرحوم الأستاذ محمود محمد مصطفى بيرم الذي اشتهر باسم محمود بيرم التونسي نسبة الى جنسيته التونسية (منحته الثورة الجنسية المصرية عام ١٩٥٤) . لقد عاش هذا الفنان الشعبي حياته لفنه الاصيل وبلغ القمة في الأجادة في كل ماكتبه عنه مصورا بكلماته الرقيقة الصادقة حياة الشعب بما فيها من ضنك وترف وشقاء ومرح ولهو وتصوف مصورا لما يمر به من أحداث وما يتمثل أمامه من مرئيات تصويرا بارعا ، يسخر منه تارة بغية اصلاحه ، ومدافعا عن حقوقه تارة أخرى لا يمنعه عن قول الحق لومة لائم أو سلطة حاكم مهاجما لقصور الرجعية وأعداء الوطن العربي في كل مكان حتى من داخل فرنسا ولم يرهبه السجن والتشريد والنفي .

لقد عاش هذا الفنان حياته في ضنك وفاقة وذاق الأمرين ونفي الى تونس ثم الى فرنسا ثم الى السنغال لكشفه عن فضائح أسرة محمد على المالكة وقذفها قذفا مقذعا ومهاجمته لأعوانهم وأعداء الوطن العربي في كل مكان .

وقد عاد من منفاه فواصل كفاحه ضد الأوضاع الملكية الطاغية بما يكتبه عنها في جريدة الشباب وغيرها من الجرائد مثل الكشكول والامام والمطرقة والنيل وابولو وروزاليوسف وغيرها .

لقد جمع هذا الفنان الشعبي في نفسه خلاصة كثير من مذاهب رجال الاصلاح الذين ظهروا على مسرح الانسانية من أمثال دانتي ومارتن لوثر ووليم شكسبير وجان موليير وجان جاك روسو وجان جيته وآرثر شوبنهور وليوتلستوي ورابيدرانات طاغور وبرنارد شو ، وزاد على ذلك خلاصة من آراء شعراء الحكمة والفلسفة من العرب من أمثال البحتري وأبي تمام وابن الرومي وأبي العلاء ، وتجول بفنه ولقطاته البارعة في دروب الشعب الأصيل لينقل أحاسيسه ويعبر عن خوالجه وكوامنه في صور زجلية بارعة تخاطب العقل والوجدان وتهز المشاعر الانسانية .

لقد مات محمود بيرم التونسي ليحيي في نفوسنا ذكرى عزيزة تذكرنا بابائه وشاعريته الصادقة الصائبة وفلسفته العميقة ولمحاته الفنية الخالدة من شعر ونثر وزجل .

لقد مرت بنا ذكراه ولم نر ما كنا نود أن نراه من تكريم له واحياء لتراثه الغزير . كنت آمل ان يكرمه المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ويصدر له كتابا يسطر فيه سيرته العطرة وكفاحه ضد أعداء العروبة في كل مكان . كنت آمل ان أرى ديوان بيرم التونسي وقد أعيد طبعه خصوصا وان طبعته الأولى نفدت منذ صدورها .

ان أملي كبير في السيد الدكتور نائب رئيس الوزراء للثقافة والارشاد القومي أن ينظر سيادته في اصدار مجلة الزجل لتقف بجانب زميلتيها (مجلة الشعر ــ مجلة الفنون) لتعطي الفرصة لفناني الشعب كي يؤدوا دورهم في مجتمعنا الاشتراكي الجديد ، كما انني أعتقد أن اصدار مجلة للزجل سيكون له اثر كبير في حسم النزاع القائم بين شعراء القديم والحديث لاننا سوف نتيح بذلك الفرصة أمام شعراء الجديد ليتجهوا نحو قرض الزجل دون الهرب من قيود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه ولغته العربية الفصحى الى ما يسمونه بالشعر الجديد .

وأخيرا دعواتي الخالصة الصادقة الى الفنان الشعبي الراحل الاستاذ محمود بيرم التونسي أسكنه الله فسيح جناته ورجائي وندائي وأملي الكبير للقلب الكبير السيد الدكتور عبد القادر حاتم والسادة أعضاء المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب احياء تراث هذا الفنان الشعبي الراحل وتخصيص جزء من أجزاء سلسلة اعلام العرب له والتكريم بالنظر في اصدار (مجلة الزجل) .

والله يوفقنا الى خدمة مجتمعنا الاشتراكي العربي في ظل رائد النهضة العربية الزعيم البطل جمال عبد الناصر .

شربة ماء

قصة بقلم : محمد الشناوى

« ماء » :

واطبقت الشفاه المحمومة من جديد ، فلم تعد تنطق ، وهو نفسه لم يسمع الكلمة بوضوح ، فقد نطقت بها فى شبه زفرة ضعيفة ، نفثتها مع انفاسها التى تتردد بصعوبة بين الصدر المهزول والحجرة الرطبة المظلمة التى احتوتهما معا ، واذا كان هو ... قد التقط الكلمة بسرعة ، فقد احس بها بقلبه اكثر مما سمعها باذنيه ، واستقبلتها الاشعة غير المنظورة التى ربطت بين القلبين ، قلب اليتيمة و ... قلب الأعمى ..

واسرع يلبى نداء المريضة ، وقف بسرعة فاصطدم راسه بالحبل المعلق بعرض الحجرة يحمل الخرق الباليه ، التى لم يات عليها الدور لتحتل مكانها من جسديهما اللذين لم يعرفا جديد الثياب منذ زمان طويل ، و .. انقطع الحبل ، وتكومت الخرق التى يصعب عليك مهمـا كانت خبرتك بالالوان ـ ان تنسبها الى لون معين ، تكومت فـوق المريضة ، فتململت فى رقدتها ، واحس «الاعمى» بالموقف .. اذ لم يره .. فقاوم كل ما فعلته السنين بظهره وانحنى بسرعة فوقها ، ويداه تروح وتجيء فى عصبية بالغه ، لتدفع عن النائمة هذه الخرق التى تكومت فوقها ، كانما يدفع عنها شرا يراد بها ، أو يحول بين القدر المتربص وبين بلوغ ما يريد منها ..

زين ... هل اصابك مكروه يابنتى ...

ولم يكن بوسع الخرق الساقطة ، ان تصنع باليتيمة زين ، اكثر مما تصنع بها الحمى الآن ، ولم تكن هى نفسها بحالة من الوعى تستطيع معها ان تزن ما اصابها بسقوط ما سقط فوقها من بالى ثيابهما ، فجاء سؤال الاب لا معنى له ، لانه تردد فى جنبات الحجرة المظلمة بلا هدف ، وظل بلا جواب ... وكانما تحرك شعور المريضة ، اشفاقا على هذا الذى يجلس معها وحيدا ، لا يربطه بالاحياء الا عيناها اللتان لم تعودا قادرتين على رفع الجفون الثقيلة المسبلة ، فانطلق صوتها الواهن من جديد ، بشيء اى شيء يذكره بانها ما تزال تعانى مثله من الحياة ، وانها لا تزال كمـا هى لم يصبها مكروه ، ان كان من الممكن أن يوجد مكروه أكثر مما هما فيه .

● **ماء ..**

● **حاضر يازين ... حاضر يابنتى ...**

قاتل الله ذاكرتك الضعيفة ياعبد الرازق ... اين وضعت « القلة » ؟ اهدا بالله عليك ، ودعك من هذا الاضطراب ، فحبة القلب « زين » ، ونور العين .. « زين » عطشى ، ويجب أن تشرب ، ولكن ... اين « القلة » ؟ حسنا ... هانت تتذكر لعلها الى اليمين من باب الحجرة حيث تجلس مع الغالية زين فوق المصطبة .. ولكن يديك لم تمسكا بها حتى الآن ، وهاهى « الحصيرة » خالية تماما من اى اثر «للقلة» ولا يوجد فوق المصطبة سواك انت وهى... حبة القلب . تحرك « ياعبد الرازق » الى الجدار المواجه للباب ، فقد تكون نسيتها هناك ، ويتحسس « الاعمى » طريقه ، ويقطع الحجرة التى تنوء بحمل احزانهما الطويله ، فلا تعثر يداه بغير « الماجور » الفخارى القديم ، الذى تحول منذ سنوات ، الى قطعة اثرية من ماضى « عبد الرازق » ايام أن كانت له امراة ترعاه ، ككل رجال القرية ، وكانت تعجن فيه دقيق الذرة الذى يجود عليهما به «ناظر العزبه» بل ان المرحومه كانت تفاجئه احيانا بفطيرة من القمح « ليصلب حيله » وتعد عجينتها فى هذا الماجور ... باسلام يا « عبد الرازق » ؟ .. انت طمعك غريب .. وهل هذا وقته ؟ لقد ماتت « خضرة » وتركت انت العزبة وناظر العزبة وتحولت بعد ان فقدت بصرك ... من فلاح ممتاز الى .. « هيه » ما علينا ، اين « القله » ؟ البنت عطشى ، والحمى تحرق بدنها .. ويجب أن تشرب ...

● **ماء ...**

● **حاضر يازين ... اننى أبحث عن «القلة»**

● **ماء ...**

● **قلت لك حاضر .. الله يلعن ...**

يلعن ماذا ياعبد الرازق ؟ ... هل جننت ؟ تلعن من ؟ ... المريضة الغالية أم .. ؟ .. لا .. مستحيل ، لا المريضة ، ولا هى ... فقد كانت نعم الزوجة ، فعلا ياعبد الرازق لقد كانت « خضرة » نعم الشريك لحياتك ، وكانت خير الرفاق فى رحلة عمرك الشاقة ، ويحك ياعبد الرازق .. تثور على ابنة الغالية ... لمجرد انها عطشى تطلب جرعة ماء؟ ... وهى ... المريضة العزيزة ... هل ثارت عليك مرة واحدة عبر هذه السنوات التى قطعتكما معا فى مرورها البطىء الثقيل ؟ ... هل سمعت من زين الغالية شكوى واحدة ، منذ أسلمت الحياة كليكما للآخر ، أنت ببصرك الذاهب وهى بيتمها المقبل الحزين ؟ ... أنت « مفترى » ياعبد الرازق، تصرخ فى المريضة التى لجأت اليك فى طلب جرعة ماء ، وهى التى حملت على كاهلها الغض .. منذ الطفوله .. كل الظلام الثقيل الذى لف حياتك ... هل نسيت صنيع امها من اجلك يوم شاء القدر أن ينتزعك من عالم النور ، الى حيث انت الآن ؟ الا تذكر أن الكل تخلى عنك منذ اول يوم حلت بك المحنة ؟ ... « ناظر العزبة » الذى انتزع منك ارض « الباشا » ليسلمها الى غيرك ، واولاد عمومتك الذين ازوروا عنك واحدا اثر واحد ، بعد أن طال بك المرض ولم تلح معه تباشير امل ، وحتى الطبيب الذى تولى أمر عينيك منذ البداية حتى أسلمهما للظلام شعرت بأنه بدأ يضيق بك ... احساسا بالخجل من فشله فى علاجك ، أو رغبة عنك بعد أن نضب معين جيبك .. الكل ياعبد الرازق ... الكل تخلى عنك ، ونفض يديه منك مستريح النفس، الا هى ... أم الغاليه ، لم يهدأ لها بال ... ووقفت معك موقف شجعان الرجال كنت تجلس بعيدا عن الناس ، عازفا عن الاختلاط بهم ، راغبا عن معايشتهم ، منزويا فى دارك .. اذ كانت لك دار .. ثم فى هذه الحجرة الوحيدة ... بعد أن ذهبت دارك وفاء لديون المرض وكانت وهى المعتزة بنفسها ابدا ، تعمل فى الصباح الباكر فى نقل الماء بجرتها الى بيوت الاثرياء من أهل القرية ، فاذا انتظم الفلاحون فى عملهم بالحقول ،كانت هى معهم ... فاذا جاءت الظهيرة لم تخلد الى الراحة كما يخلدون، بل سارعت بالعودة اليك لتطعمك وتسقيك وتقضى لك من حوائجك ما تريد ، ثم تتركك عائدة لرفاق الحقل ، عاملة معهم حتى تقارب الشمس الغروب فتعود مع العائدين ، يذهبون هم الى مضاجعهم أو سمرهم ، أما هى فتجلس اليك فى حنو وتعاطف تقص عليك من امرها مايروح عنك ، وتسمع منك ما يخفف كربك حتى ولو آذاها فى سمعها أو عزة نفسها ... ابدا لم تشك ، ولم تسخط ، وبالغت فى هذا الرضا بالواقع ، وبالغت ايضا فى تخفيف هذا الواقع عنك حتى انتصر حلمها على نفاد صبرك ، وتغلب حبها لك وللحياة معك على ضيقك بهذه الحياة ... وحتى عندما قسى عليها المرض لأنها قست على جسدها ولم تأخذه برفق فى سعيها على رزقك ورزقها ، لم تستسلم له ، ولم تنم الا الساعات القلائل التى سبقت رحيلها عن هذه الدنيا لتتركك وحيدا مع زين ، وتترك زين وحيدة معك .. أنسيت «ياعبد الرازق» يدها المعروقة وهى تجمع بين يديك المرتجفتين .. من وطأة الموقف ساعة احتضارها ... ويدى زين الحبيبة ، فى وصية صامتة ، تلفقا قلبك المحزون من قلبها الذى كان يعانى آخر نبضاته فى الحياة .. ؟ .. أم نسيت الكلمات المحزونة التى لفظتها انت ممزوجة بدموعك ، وانت تحاول فى يأس أن تعيد الى قلب الذاهبة طمأنينتها على فلذة كبدها «لاتخافى عليها ياخضرة ، انها بنتى » ؟ ..

● **ماء ...**

● **من عينى يازين ...**

اسرع ياعبد الرازق ، لا بد ان « القلة » بجوار « المشنة » ، مؤكد أنها هناك .. وتمتد اليدان المعروقتان فى لهفة واجفة ، وتصطدمان بها ... الحمد لله ، هاهى أخيرا .. ستشرب العزيزة الغالية، ستشرب زين .. ياساتر ، ياساتر ... لا حول ولا قوة الا بالله ، وأسرع يخلص قدميه من الحبل المعلق الذى قطعه فى سقوطه الاول ، باسلام ياعبد الرازق .. انت هكذا ، دائما تسرع وتسرع ، والنتيجة انك تتأخر وتتأخر ... الحمد لله ، أخيرا تحررت قدماه من الحبل الملتف حولهما ، ولكن ... اين القلة .. ؟ .. اين تراها سقطت منه ؟ .. ابحث بسرعة ياعبد الرازق ... صحيح أن راسك تؤلك من أثر اصطدامها بالجدار ساعة أن سقطت ، ولكن لابأس، ابحث عن «القلة» اولا . فليس لديك وقت لاجترار الالم الذى يمزق راسك «القلة» اولا وبعدها تألم كما

تشاء . ولن يضير الالم ان يتأخر احتفاؤك به حتى تشرب الغاليه ، فانت متفرغ له منذ زمن طويل ... القلة .. أين هى ؟

● **ماء ...**

● **صبرا يازين ، انى ابحث عنها ...**

ما هذا .. ؟ وامسكت يده بشظية من الفخار ، كانت القلة قد تناثرت اشلاء عندما تعثرت قدماه فى الحبل المقطوع ، وجن « الاعمى » اشفاقا على اليتيمة ، وكاد قلبه يتمزق لاحساسه بانها ترقد عطشى ، وهو عاجز عن تقديم جرعة ماء لها ، يجب ان تشرب « زين » ولو دفع حياته ثمنا لهذا ، ان بقاءه حيا حتى الآن ، ثمرة لكفاح المريضة من اجله، وكفاح امها من قبلها ، فهل يكون جزاؤها ، أن يمنع عنها شربة ماء تطفىء بها لهيب الحمى التى تحرق شبابها ، مستحيل ... يجب ان تشرب « زين » ، يجب ان يرد لها بعض جميلها وجميل المرحومة عليه ... لقد استطاعت اليتيمة الصغيرة أن تملأ حياة الارمل ، كما تملأه ، امرأة مكتملة ، كانت معجزة ، ولكن حبة القلب « زين » صنعتها ، قامت على خدمته ، ورعاية امره ، متحدية عوامل السن والخبرة ، وانتزعت نفسها انتزاعا مبكرا من حياة الطفولة ، وعبثها الحلو البرىء ، لتخلص لخدمة ابيها المحتاج لها، صحيح ان طبع الطفولة كان يغلبها احيانا فتنطلق مع لداتها من الاطفال فى اللعب ، ولكنها تثوب الى رشدها ، أو يعيدها هو الى واقعهما الصلد ، بندائه « زين .. يازين » .. الذى تحول فى افواه الصغار الى أغنية جماعية عابثة ، يغيظون بها « زين » كلما حاولت التطفل على عالمهم الصغير ، الذى حرمه عليها .. قبل الاوان .. موت الأم واحتياج الأب الضرير لرعايتها ، وهى لما تزل بعد فى حاجة لمن يرعاها .

● **ماء ...**

● **يا حبيبتى ...**

واسرع يتحسس طريقه الى «العكاز» ، لقد اهمله طويلا ، لم يكن فى حاجة اليه ، كانت « زين » «عكازه» الذى يرتكز عليه فى ذهابه وجيئته ، بل كانت المحور الذى « ترتكز » عليه حياته كلها ، أما الليلة ، وقد نام « عكاز » حياته تحت ضربات الحمى ، فقد أحس بالحاجة الى « عكازه » الخشبى ، اين هو .. ؟ .. اين وضعته لآخر مرة ياعبد الرازق ؟ . انت لا تذكر طبعا ،لأنك لم تضعه بنفسك ،بل لأنك لم تكن تصنع شيئا بيديك ، كانت العزيزة الغالية تصنع لك كل شيء ، وترى لك كل شيء ، وتحس معك ومن اجلك بكل شيء ، حلو الحياة تقدمه لك سعيدة راضيه ، ومرها تذوده عنك جاهده ، مهما قاست ومهما لقيت، لم تأخذ لنفسها شيئا، بل لم تشعريوما بان لها ذاتا مستقلة عنك ، وحتى عندما عرف الصبا طريقه اليها،وشقت الانوثة حجب الفقر والبؤس الذى ترزح تحت وطأته حبة القلب « زين » ، وتقدم لخطبتها خاطب وفوضت انت لها الامر لترى فيه رايها ، اشفاقا عليها ، من أن يحول احتياجك اليها بينها وبين حقها الطبيعى فى الحياة المشروعة لكل انثى ، حياة الزوجة والأم ، رفضت هى هذا الخطيب المقبل عليها العاشق لحسنها ، الذى لم تسعد برؤيته عيناك المظلمتان ، لانه ابى عليها أن تقوم على خدمتك حتى بعد أن تنتقل الى بيت الزوجية ، وذهب العاشق الخطيب ، ولم يعد ، ولم تعد هى الى الحديث فى امره ، واذ كنت .. تحت احساسك بالذنب لأنك كنت السبب فى ذهابه .. تحاول ان تجرها الى الحديث عنه لتحاول اصلاح ما افسده وفاؤها لك واستغراقها فى حبك ، كانت تبعد بك عن الموضوع بلباقة ورثتها عن المرحومة ، بنكتة ترويها .. عن طيش الشبان فى هذه الايام .. أو خبر جديد تحاول أن تبهرك به ، أو قصة لطيفة سمعتها فتعيد روايتها لك ، وتمضى سهرتكما حلوة ، هنية رغم بساطتها وشظفها ...

● **ماء ...**

● يالى من غبى ... استرسل مع نفسى ، وانسى حبة القلب .. حاضر يازين ..

وماذا يضيرك يا « عبد الرازق » لو خرجت بدون « عكاز » ؟ .. يالى من أنانى استكثر على الغالية ، ان اخرج لأحضر لها الماء بدون عكاز ؟ .. ساصطدم مرة أو مرتين ، وقد تخدش يدى او رجلى او حتى تدمى راسى من اجلها ، فهل هذا كثير على زين .. الم تخدش حياتها عشرات المرات من أجلى ؟ ... الم تتحمل مشاق العمل ، بل مهانته احيانا لكى توفر لى لقمة العيش بدون حاجة الى مذلة السؤال ... تجلد ياعبد الرازق ... هاهو الباب ، صحيح

انها المرة الاولى التى تخرج فيها وحدك ، ولكنها زين ...

- ماء ...
- **ساعود سريعا يابنتى ... ساعود بالماء حالا ...**

أنت الآن في الحارة ، فاين بيت « أم محمد » ؟.. على يمينك ؟ ... أجل تماما ، اتجه اليها ، انها امرأة خير ، لقد كانت صديقة المرحومة ، وكانت تعطف على زين باستمرار ، وزين نفسها تانس اليها وهى لن تبخل على ابنتك بشربة ماء . بل انها لم تتردد صباح اليوم عندما عجزت زين عن الخروج فى ان تقودك .. الى دار « الجمعية » لتقابل هذا « الافندى » الذى قالوا انه قادم من « البندر » ليفحص حالتك ، آه لو صدق الكلام الذى سمعته من « الافندى » ياعبد الرازق ؟ ... ماذا ستصنع بأول مبلغ تقبضه من هذا « المعاش » الذى زعموا أن « الحكومة » ستصرفه لك ؟ ثوب جديد لزين ؟ ... أجل ... ثوب جديد احمر ... لا انها أصبحت عروسة ملء العين ... الثوب الاحمر للفتيات الصغيرات ، ياسلام ياعبد الرازق ... انت « مفترى » والله ... ان البنت لم تفرح مرة واحدة فى حياتها ، فهل تستكثر عليها ثوبا احمر مرة فى العمر ؟ ... آه ... هاهو الباب ...

من عينى ياعبد الرازق .. انتظر .. سآتى معك لأطمئن على زين ...

جزاك الله عنى وعن العزيزة الغالية خيرا ... انك لا تتصورين كم هى غالية عندى يا أم «محمد»؟ وبدونها لم اكن لاستطيع الحياة ، ماذا .. ؟ .. طبعا وساريحها منذ اليوم ، ساعطيها المعاش الذى قال « الافندى » « ان الحكومة » ستصرفه لى ، اجل ... كله ، وسأجعلها عزيزة مكرمة وساعوضها عن كل ماقاسته فى حياتها ، منذ ماتت المرحومة ...

اشهد الا اله الا الله .. انا لله وانا اليه راجعون البقية فى حياتك ياعبد الرازق ... البقية فى حياته .. وهل لحياته بقية ، بعد أن ماتت زين قبل ان تشرب ؟ هل لحياته بقية بعد حبة القلب ... زين .. نور العين .. زين .. عكاز الاعمى زين ..

« محمد الشناوى »

من أغانى العودة .. الى فسلطين

للشاعر : محمد مصطفى الليجى

اقسمت بربى وسلاحى
ساعود لأرضى بكفاحى
كالليث وفى عزم صلاح

لن يهدا ثارى بدمائى
فالحر شجاع وفدائى
لا يرهب كيد الأعداء

وطنى لن يهدا لى بال
وفداك شباب ورجال
ناديت فايقظنا جمال

يا وطنى يا أرض جدودى
يا مهد العزة والجود
سنعود ولن يبقى يهودى

سنعود كريح الأعصار
نرمى بقذائف من نار
ونخط بدم الأحرار

سيعود الشيخ باحفاده
ليعيش عزيزا ببلاده
حرا يعتز بامجاده

سنعود لأرض الزيتون
للكرم وطلع الليمون
لن يبقى أبدا صهيونى

اقسمت بربى وسلاحى
ساعود لأرضى بكفاحى



العدد ٨٣
الثمن ٣
الدار القومية للطباعة والنشر